كتاب الدارات

للأصمعي وياقوت الحموي

ويليه

فائدة لغوية على كتاب الدارات للأصمعي

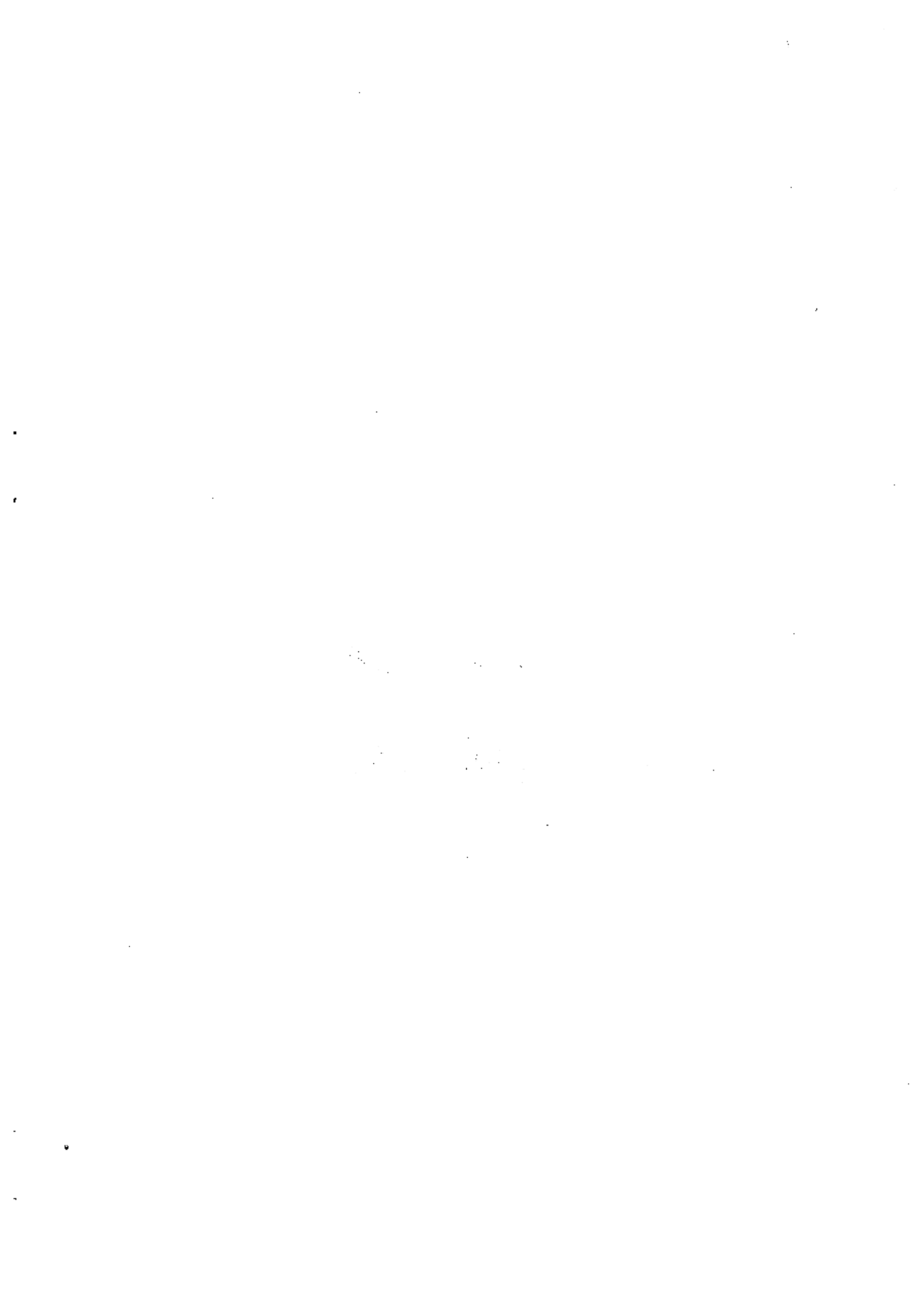
دراسة وتحقيق
يسرى عبد الغني عبد الله

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من دار الكتب العلمية بيروت — لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ — ٨٠٥٦٠٤ — ٨٠٠٨٤٢
ص.ب : ٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le

هذا المخطوط

وهذا الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب :

لقد أطلعتُ على مخطوطة كتاب الدارات للأصمعي أو رسالة « الدارات » ضمن مجموعة رسائل أضيفت إلى الكتبخانة العمومية (دار الكتب المصرية) في العشرين من ديسمبر سنة ١٨٩٦ م تحت رقم ٧٩ يومية ، ورقم ٢٩٨٧٥ عمومية ، ورقم ٢٢٩ خصوصية (لغة) .

وتضم هذه المجموعة الرسائل الآتية والتي بصدد تحقيقها وإخراجها للقارىء الكريم إن شاء الله تعالى والرسائل هي :

الرسالة الأولى :

كتاب المطر والسحاب تأليف : أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي رواية القاضي أبي سعيد بن عبد الله السيرافي عنه رواية أبي الحسين محمد بن رزمة البزار عنه رواية الشريف أبي علي محمد بن محمد بن عبد العزيز المهدي وعنه رواية أبي الحسين علي بن عبد الرحيم بن الحسن السلمي عنه سماع هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بقراءته عليه وصفحاتها في المجموعة ٤٧ صفحة (من ٢ الى ٤٩).

الرسالة الثانية :

كتاب النبات والشجر عن أبي سعيد الأصمعي رواية أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني عنه رواية أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي عنه رواية أبي القاسم عمر بن محمد بن سيف عنه رواية أبي الفضل أحمد أبي منصور محمد بن

عبد الملك بن الحسين بن جدون عنه رواية أبي الحسين علي بن عبد الرحيم بن الحسين السلمي الرقي عنه سماع هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب بن علي بن أيوب بقراءته عنه وتقع هذه الرسالة في حوالي ٢٥ صفحة ، الصحائف من ٥١ إلى ٧٦.

الرسالة الثالثة :

كتاب الشاء (الشاة) تأليف أبي سعيد عبدالملك بن قريب الأصمعي ، رواية ابن اسحاق الزيادي عن الأصمعي رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري عنه رواية أبي بكر محمد بن السري عنه رواية أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي عنه رواية أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي عنه رواية الرئيس ابن المنصور بن محمد بن محمد الفضل بن محمد دلال الشيباني عنه رواية أبي الحسين علي بن عبد الرحيم بن الحسن السلمي عنه سماع هبة الله بن حامد بن أحمد ابن أيوب بن علي بن أيوب بقراءته عليه وتقع في خمسة عشر صحيفة من صحيفة ٧٧ إلى صحيفة ٩٢ .

الرسالة الرابعة :

تقع في صفحات خمس من صحيفة ٩٣ الى صحيفة ٩٨ رواية أبي زيد سعيد ابن أوس الأنصاري وتحمل العنوان الآتي : (كتاب اللب أو اللبن) .

الرسالة الخامسة :

وهي كتابنا الذي نحن بصدد تحقيقه في هذه الصفحات وأعني به كتاب الدارات الذي رواه الأصمعي وأخذناه من رواية أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني في ٧ صحائف .

الرسالة السادسة :

كتاب المداخل في اللغة لأبي عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم الزاهد اللغوي صاحب أبي العباس أحمد بن زيد الشيباني النحوي وتقع في ٢٢ صحيفة من ١٠٧ الى ١٢٩ .

الرسالة السابعة والأخيرة :

هي كتاب البئر عن ابن الاعرابي وتقع في حوالي تسع صفحات من ١٣٢

الى ١٤١ إذن مجموعة الرسائل تقع في ١٤٢ صحيفة طول الصحيفة $\frac{١}{٢}$ ٢٧سم × ١٧ سم تقريباً ، وسطور الصحيفة الواحدة تتراوح بين ٢٤ سطراً و٢٥ سطراً والمسافة بين السطر والسطر نصف سنتيمتر ، والخط المكتوب به خط نسخ صغير قديم كتب بالحبرين الأحمر والأزرق وعدد كلمات السطر الواحد لا تقل عن إحدى عشر كلمة ولا تزيد عن خمسة عشرة كلمة .

وقد قابلت صعوبات في قراءة مجموعة الرسائل لصغر الخط وعدم وضوحه في صفحات كاملة ، وقد كلفني ذلك جهداً مضاعفاً في التدقيق والتمحيص حتى أتيت عليه كاملاً قراءة وادراكاً .

وقد يسأل القارىء المفضال لماذا أخذت كتاب (الدارات) بالذات بصحائفه القليلة كموضوع لكتابي هذا ولم أتصدى بالتحقيق لرسالة أُخرى من مجموع الرسائل ؟

واجابتي عن ذلك فيما يلي :

أولاً : ان موضوع « الدارات » في الشعر العربي موضوع شائعة وشائك فما من شاعر منذ العصر الجاهلي الى بدايات عصر النهضة الأدبية الحديثة إلا ووقف على الاطلال وذكر الديار وبكى المحبوبة الظاعنة ضمن المقدمة التقليدية للقصيدة العربية ، ولذلك جذب موضوع الدارات اهتمام أصحاب كتب اللغة والمعاجم فذكروا دارات العرب وكتبوا عنها الكثير مما لم يصلنا ـ للأسف الشديد ـ ومما تختزنه بطون امهات الكتب الذي يحتاج الى تنقيب وكشف مع دراية وروية .

ثانياً : كتاب الدارات للأصمعي وجدته في فهارس دار الكتب القديمة تحت رقم ٢٩٩ لغة أي انه كتاب مستقل بذاته فبدأت البحث عنه ، ولكن للأسف الشديد لم أجده علماً أنني رأيت صورة منه في مكتبة استاذي المرحوم الدكتور أحمد الحوفي وسمح لي بنسخة مشكوراً . ولكن الكتاب رقم ٢٩٩ لغة أين ذهب ؟! وهنا وضعت أكثر من احتمال كان أرجحهم أنه بما أن الكتاب حجمه صغير جداً بمعنى أنه رسالة فلا مانع ان يكون مع مجموعة رسائل أُخرى وبالفعل بحثت بنفس الرقم ٢٩٩ مجاميع فوجدت «الدارات» ضمن مجموعة الرسائل والتي

اشرنا إليها . إذن للدارات نسختان نسخة مفردة ونسخة ضمن مجموعة الرسائل ولا خلاف بينهما ، ولعل هذه الرحلة هي التي جعلتني اتعلق بهذه الرسالة .

ثالثاً : الأصمعي لغوي نحوي اديب اي انه رجل متعدد الجوانب الفكرية وهو يحظى بنصيب الاسد في عدد مؤلفاته بين رواتنا العربي وفي نفس المجموعة مجموعة الرسائل نجده يكتب لنا الرسالة الثانية كتاب النبات والشجر ، والرسالة الثالثة كتاب الشاء او الشاة والرسالة الخامسة وهي الدارات من هنا وجدت نفسي مشدوداً لتحقيق هذه الرسالة .

رابعاً : يلي رسالة الدارات فائدة واعتقد انها تحوي مجموعة كلمات مفيدة وقضايا لغوية تحتاج لتحليل وتمحيص ، بل لا اكون مبالغاً إذا قلت انهـا اهم بكثير من رسالة الدارات لأنها رسالة لغوية هامة ومفيدة .

خامساً : انه موضوع (الدارات) يعطي اكبر دلالة على مدى انتماء العربي الى وطنه ، وطنه الذي احبه وعاش في ظلاله ومـا اجدرنا ان نبرهن على هذا الانتماء الجاد في وقت خف فيـه الانتماء للأوطان وحبها واكتفى بالبعض بالقيل والقال والثرثرة غير المجدية .

وللأمانة العلمية نقول في هذا المقام ان الأب لويس شيخو اليسوعي قـد قام بطبع هذا الكتاب في بيروت عـام ١٨٩٨ ومع كل احترامنا لجهد الأب لويس ذلك الرجل الكريم الذي اسدى لتراثنا الكثير إلا أننا تناولنا المخطوط بشكل آخر معتمدين على المخطوطة الاصلية وللأسف الشديد لم اتمكن في العثور على نسخة من هذه الطبعة اللهم إلا بعض إشارات في بعض المؤلفات عنها وحدثني عنها استاذي الدكتور الحوفي ولم يعتمد عليها في مؤلفاته بل المرحوم رجع الى المخطوطة نفسها .

وفي نهاية هذا التمهيد لا يسعني إلا ان اوجه خالص الشكر الى كل من قدم لي العون في اخراج هذا العمل المتواضع ، واستميح القارىء المفضال عـذراً ان كنت قـد اخطأت او بدرت مني بعض الهنات في الدراسة او التحقيق فإن كنت اجتهدت واخطأت فلي اجر واحد ، اما اذا اجتهرت واصبت فلي اجران وهذا منتهى طموحي والكمال لله سبحانه وتعالى .

— والله ولي التوفيق —

الفصل الاول

الأصمعي في سطور

سطور عن الأصمعي :

الأصمعي هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب : من مشاهير علماء اللغة ، ولد في البصرة العراقية عام ١٢٢ هـ (٧٤٠ م) وتوفي في عام ٢١٣ هـ (٨٢٨م) ونسبته إلى جد له يدعى الأصمع ، وقد نشأ في ظروف مضطربة وانكب على العلم والتحصيل في جد ونشاط في مسقط رأسه ، وأفاد من دروس الخليل وأبي عمرو عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وسرعان ما أصبح شيخاً يسمع له الناس في ذلك البلد ، وأنجب من مشاهير التلاميذ أمثال أبي الفضل الرياشي وأبي عبيد وأبي هاشم السجستاني وأبي سعيد السكري [١]

---

(١) السكري : هو ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري، ولد سنة ٢١٢= ٨٢٧ ، وتوفي حوالي سنة ٢٧٥ = ٨٨٨ ، وهو تلميذ ابن حبيب المؤدب وهو بصري (بروكلمان جـ ١ ص ١٠٨ ، الفهرست ص ١٢٣ ، ٢٣٠) . عمل اشعار امرىء القيس والنابغتين ، وقيس ابن الخطيم ، وتميم بن ابي مقبل ، واشعار اللصوص ، واشعار هذيل ، وهدبة بن خشرم ، والاعشى ، ومزاحم العقيلي ، والأخطل ، وزهير وغيرهم . وكان حسن المعرفة باللغة والأنساب والايام ، مرغوب في خطه لصحته .

وقد وعت ذاكرته العجيبة جميع فروع المعرفة في عصر ، كما كان متضلعاً في لغة البدو ولهجاتهم ، وعلى دراية تامة بفنون الشعر ، أما في اللغة فكان يفوق معاصريه ، فلم يكن يلحق به في هذا الميدان أحد ، ووصلت شهرته الى اسماع هارون الرشيد فاستدعاه الى بلاطه ببغداد وجعله مؤدباً للأمير ، وهناك تزعم الحياة العقلية الناشطة التي كان يحياها بلاط الخليفة ، وبينما كان موضع الاحترام في ذلك البلاط ، ترك بغداد حاملاً ثروته التي جمعها بحسن تدبيره ، وأمضى بقية حياته في مسقط رأسه البصرة .

وبقي لنا من مؤلفات الأصمعي العربية الشيء الكثير ، بعضها مخطوط نذكر منه الى جانب رسائله المشهورة : « كتاب الفرس » وكتاب « الأراجيز » و « كتاب الميسر » وغيرها ، وهذه المخطوطات موجودة في بعض مكتبات بغداد وهي لذلك يمكن أن تكون موضوع دراسة علمية وليس كما يزعم أصحاب دائرة المعارف الإسلامية .

والأصمعي يتناول موضوعاته في شيء من التعسف دون أن يحيط بها تمام الإحاطة ، وهذه العبارة بنصها هو قول أصحاب دائرة المعارف الإسلامية ونحن نقول لهم ان انعدام المنهج العلمي للتأليف على أيامه وموسوعيته هما السببان الرئيسيان في ظهور أعمال الأصمعي كأنها متعسفة أو غير محاط بها .

ورغم هذا فأعمال الأصمعي يعتمد عليها ، لأنها خلاصة دراساته ، يدلنا على ذلك القصة الشائعة التي تقول إن الأصمعي كسب في مناظرة بينه وبين اللغوي المشهور أبي عبيدة جواداً من الوزير الفضل بن الربيع . ومما يبرهن على الشهرة الفائقة التي تمتع بها الأصمعي ، اننا نرى غالب مصنفي العرب في تراثنا يستغنون منه ، حتى اننا نستطيع أن نستخرج بعض

كتبه مما رووه عنه ، وهو لم يقتصر في مصنفاته على ايراد أبيات منفردة من الشعر العربي القديم على سبيل التمثيل ، بل أورد أيضاً أبيات من الشعر العربي تصلح لجمع دواوين وقصائد برمتها ، فإليه يرجع الفضل في جمع دواوين غالب الشعراء التي وصلت إلينا إلى جانب مجموعته الشهيرة المعروفة بـ « الأصمعيات » .

وإذا أردنا معرفة اسمه بالكامل فهو ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعيد بن عبد غنم بن قتيبة بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح .

سمع شعبة بن الحجاج والحمادين : حماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، كما سمع مسقر بن كدام ، وغيرهم .

وروى عن ابن أخيه عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي ، وأحمد بن محمد اليزيدي وغيرهم. ويقال ان الرشيد استقدمه إليه من البصرة إلى بغداد على دواب البريد عندما علم علمه وفضله واتساع درايته للغة وروايته لأيام العرب واشعارها وأنسابها وارجازها .

قال عمر بن شبة : سمعت الاصمعي يقول : أحفظ ست عشرة ألف أرجوزة . فإذا كان هذا مقدار حفظه للأرجاز فما ظنك بما كان يحفظ من الشعر ؟!

قال المبرد : كان أبو زيد الأنصاري صاحب لغة وغريب ونحو ، وكان أكثر من الأصمعي في النحو . وكان أبو عبيدة أعلم من أبي زيد والأصمعي بالانساب والايام والاخبار . وكان الاصمعي سحراً في اللغة ، لا يعرف

مثله فيها وفي كثرة الرواية .

وقيل لأبي نواس: قد أشخص أبو عبيدة والأصمعي إلى الرشيد. قال: أمـــا أبو عبيدة فإنهم إن أمكنوه من سفر قرأ عليهم أخبار الأولين والآخرين ، وأما الاصمعي فبلبل يطربهم بنغماته .

وللأصمعي مؤلفات شتى سردها أبن النديم في الفهرست سنذكرها :

- كتاب خلق الإنسان (مطبوع)
- « الأجناس
- « الانواء
- « الهمز
- « المقصور والممدود
- « الفرق
- « الصفات
- « الاثواب
- « الميسر } أو هما كتاب واحد
- « القداح }
- « خلق الفرس
- « كتاب الخيل
- « الإبل (مطبوع) في بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٣
- « الشاة أو الشاء
- « الاخبية والبيوت
- « الوحوش أو الوحش
- « الاوقاف

- كتاب فعل وافعل
- « الامثال (مطبوع) ومشكوك في أنه من تاليفه
- « الاضداد
- « الالفاظ
- « السلاح
- « اللغات
- « الاشتقاق
- « النوادر
- « أصول الكلام
- « القلب والإبدال
- « جزيرة العرب
- « الدلو
- « الرحل
- « معاني الشعر
- « المصادر
- « القصائد الست
- « الاراجيز
- « النحلة
- « النبات
- « الشجر
- « الجراح
- « ما اتفق لفظه واختلف معناه

- كتاب غريب الحديث (نحو مائتين ورقة بخط السكري قرأه ابن النديم) .
- « السرج واللجام والنعال والشوى
- « غريب الحديث
- « الوحشي
- « نوادر الاعراب
- « حياة العرب
- « النسب
- « الاصوات
- « المذكر والمؤنث

ويقول الزركلي بعد ان يورد أقوال وآراء العلماء فيه ان تصانيفه كثيرة يذكر منها :

- كتاب الإبل مطبوع
- « الاضداد مشكوك في أنه من تاليفه (مطبوع)
- « خلق الإنسان مطبوع
- « المترادف مخطوط
- « الفرق مطبوع ويعني بـه الفرق بين أسماء الاعضاء من الإنسان والحيوان .
- كتاب الخيل : (مخطوط) وليس كما زعم صاحب الاعلام ونقـل عنه محققي الاصمعيات .

الفصل الثاني

الدارات والانتماء للأرض وللوطن

الدارات والانتماء للأرض والوطن[1] :

حقيقة عاش العربي الاول على أرضه في ارتحال دائب ومستمر، سعياً وراء منابت الغيث ، وذلك في تلك الصحراء الموحشة أو في الصحراء بكل ما فيها من قفر وفقر ووحشة ، وعندما يستقر به الحال والمطلق في مكان ما ، فإنه يرتحل الى مربع آخر فهذه النقلة أو الحركة الدائبة غالباً ما تكون على مدار العام .

ليس معنى هذا ان العربي كان يترك أرضه بسهولة فهو لا يتحول عنها إلا بوجود سبب قاهر . فكان يستقبل مراتع معشبة ويولي عنها دهناً عافية وآثاراً حائلة فكان عند استقباله للأرض في المرة الاولى فرجة هائلة وكأنه يستقبل الدنيا بما زخرت له . وعند فراقه لها في الثانية فإنه يبكي وكان الدنيا كلها قد ولت . يقول زهير :

---

(١) هذه الدراسة قمنا بنشرها من قبل في مجلة الثقافة المصرية سنة ١٩٧٩ ، كما قمنا بعرضها في ندوة أدبية بمدينة الاسكندرية .

أمن أم أوفى دمنـــة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثـــلم
ديار لهـــا بالرقمتين كأنها مراجع وشم في نواشر معصم

ويقول أيضاً :

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعـــد توهم

ويقول :

فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا عم صباحاً أيها الربع وأسلم

وهنا يتحتم علينا أن نذكر أن القبائل لم تخرج عن منازلها ولم تبعد عنها إلا مـــع سيل عارم يقذف بالناس الى حيث لا يعرفون ، أو جدب متصل يشتتهم أشتاتاً . ومع هـــذا فقد أمسكهم وطن عام غلب عليهم بمقوماته ، وذلك الوطن هو الجزيرة العربية بكل صفاتها التي تكاد تكون موحدة .

ونحن ندرك تماماً يا عزيزي القارىء أن العربي الاول قد فني في قبيلته أكثر ممـا فني في موطنه وأدرك أن الموطن الاول لا قرار عليه إلا بجماعة قومه كما عرّفته طبيعة الارض كما عرّفه خلق السماء أن البقاء على أديم لا بجود هلال وفناء .

وعلى هـــذا فلم يمسك الارض إلا إذا أمسكته هي بما تخرج ولم يُبعد عليها إلا إذا بقيت هي له خصباً وأمناً ومع هذا كله فهو كان لا ينساها إذا تحول عنها وبقي يذكر مراتعه بين ظلالها .

وكانت ذكرياتهم التي تتعلق بنفوسهم في مقامهم لا تتصل كثيراً بكد الحياة فما هي إلا سماء تصوب وأرض تجود. وحديث تلك الحياة بما تعطي وتأخـذ ليس من أحاديث النفوس ولا سيما نفوس الشعراء عندما يشبون وتشب معهم عواطفهم الجامحة فيها وتنفس لمـــا ياخذ بالخناق من اقفار القفر . وتلك الخصومات الشاجنة على الماء والنبات ، ولذلك كان الشعراء

أكثر ما يذكرون الديار . ويذكرونها مع ذكرياتهم الماضية ويذكرونها مع وقائع وأيام حقيقية وأحداث وقعت بالفعل ويذكرونها مع أيام نالوا فيها الهزيمة والفوز .

يقول ابن المنجّم :

بلاد بها حلّ الشباب تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

بالبحث في قصائد جميع الشعراء فإننا نجد فيها الحنين إلى وطنهم ، وهذا الحنين نجده مصحوباً بما ذا قوة على أرضه من هوى وبما لبسوا من ثياب الشباب ، ومع هذا نجده رحيماً بهم حانياً عليهم . يقول القيسراني:

عرجا بالاثارب [1] كي أقضي ماربي

واسرقا نوم مقلتي من جفون الكواعب

واعجبا من ضلالتي بين عين وحاجب

وانظر معي يا عزيزي المفضال فيما يقوله الشاعر أبو النصر الأسدي :

أحب الأرض تسكنها سُليمي وإن كانت بواديها الجدوب

وما عهدي بحب تراب أرضي ولكن من يُحل بها حبيب

هنا نرى الشاعر يشفع حبه لبيئته بحبه لمحبوبته ويهيج في نفسه حُبه له لمحبوبته حبه لبيئته .

وأيضاً كما ذكروا الوطن بما ذاقوا على ثراه رشفات للحب عذبه فقد ذكروه بما كسبوا على رباه من فخر الفتوة وعز البطولة . وهكذا كان

(١) الأثارب قلعة بين حلب وأنطاكية .

الوطن جزءاً لا يتجزأ من حياة العربي ، يشركه في لينه وبطشه يذكره صريحاً ولا يجتزىء عنه بإشارة .

يقول حضرمي بن عامر :

سلي إمـــا سالت الحي تيا غداة الأثل عن شدي وكرّي
وقـــد علموا غداة الأثل اني شديـد في عجاج النقع ضري

ثم بعد ذلك نجدهم حين يندبون موتاهم فإنهم يندبونهم حيث يثوون أو في المثوى الأخيرة ونتساءل لماذا فعلوا ذلك . نقول لعلهم أرادوا بهـذا أن يحفظوا موتاهم فلا يضيعوا بين جنبات الموماة أم لعله الوطن لم يشادوا أن يخلوا منه مظهر من مظاهر حياتهم طبيعية ليس معهـــا روية أو راوي وسليقه لم يرسم لها فكر وهنا نذكر قول قتيلة وهي ترثي النضر أخاها :

يا راكبـــا إن الأثيل مظنة من صبح خامسه وأنت موفق
بلغ بـــه ميتاً بان تحيةً ما إن تزال بها الركائب تخفق

فالشاعرة هنا ذكرت في رثاءها مثوى النضر بل أقامت من المثوى مندوباً إلى جانب مندوبها الذي تبكيه .

وهكذا يا عزيزي القارىء لقـد عاش العربي وفياً لذاك المهد والمراح كل الوفاء لا يفتأ بذكر اسمه في لهوه وجده، فإذا أنشد في غرامه ذكر أولاً محبوبة صافاها وده وثنائياً مربعاً رتع هو وإياها على مهده . وإذا قـال في كفاحه حيث لا يذكر المكافح إلا بلاءه لم ينس أن يرفع لذلك المكان الذي جال عليه وصال ذكراً وإذا وارى الثرى حبيباً أو قريباً عز عليـــه أن يندبه دون أن يخلد اسم المكان الذي ضم جسمه الى جانب اسمه . يقول الشاعر :

ألا هل إلى أجيال صبح بذي الغضا غضا الأثل من قبـــل الممات معاد
بلاد بهـــا كنا وكنا نحبها إذ الأهل أهـــل والبلاد بلاد

هكذا جرى الزمـان بهؤلاء القوم وتحولوا من الخشونة إلى الرفاهية ومن البداوة إلى الحضارة واستقرت الأرض تحت أقدامهم وأصبح الوطن مرسوماً بعد ان كان غير موسوم وإذا هو شيء بعينه بعد ان كان شيئاً بمعناه وعلى قـدر تلك الأسباب التي وصلت إلى العربي بمقامه كانت صلته بذلك المقام ويعد أدبه بعد ذلك موصولاً بتلك الصلات ينطق عنها ويعبر ولقد ذكر ذاك المقام مراحاً للهواة ومرحاً لفتوته ومثوى لفقيد عزيز ان يعد عنه ذكره لواحدة من هذه أو ذكره لها كلها . ونحن نعرف ان وطن ذلك العربي في تلك الخيام المنصوبة أكثر مما هو في تلك الأرض المضروبة عليها . فأحس وجوده بوجود تلك الخيام فـــإن أقامت أقام معها وان ارتحلت ارتحل معها فلم تختلف الخيام ولا أهلها ، وإنما اختلفت الأرض التي تحت قدميه ولم تتعدد أيضاً الخيام ولا أهلها ، وإنمـا تعددت الارض لكثرة الارتحال .

والذلك نجد العربي قد ذكر الارض المختلفة المتعددة بتلك الصلات غير المختلفة غير المتعددة . وجعل من تلك الاشياء الثابتة أسباباً لذكر ذلك الشيء المتغير ، ولكن العربي قد أحب كل شيء بمعنى أحب الارض أحب الاهل وذكر الارض وذكر الاهل ، ومـا أنس بغير المتغير متغيراً لأن ذاك الوطن على تغيره أحس أنه أفـاد منه شيئاً من وجوده وراح على ثراه واستراح فإنه لا يمل من ذكر ذلك كله ولا ينساه .

فطرة الله الذي فطر الناس عليهـــا لا يزالون يعيشون موصولين بأرضهم تزيد صلتهم بها تلك الاسباب ان كثرت وتقل صلتهم بها تلك

الاسباب ان قلت. وحين كاد ذلك العربي أن يتحضر كثرت تلك الاسباب فوصلته بوطنه إتصالاً قوياً جديداً، ولقد استطاع هؤلاء الادباء أن يخلفوا لنا بذلك تراث أي تراث حول البلدان كان مادة للناظرين فيما يتصل بها . فكم من بلد لولا الشعر خلده ما خلد ولولا الشعر ميزه ما امتاز ولولا الشعر ذكره ما عرف ولا استبان .

الفصل الثالث

الدارات في بعض معاجمنا اللغوية

الدارات عند الجوهري[1] :

الدارُ : مؤنّثةُ . وإنَّما قال الله تعالى : (ولَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِين) فُذكِّر على معنى المَثْوَى والموضِع كما قال : (نِعْمَ الثَوَابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً) فأنثَ على المعنى .

والدَارَةُ : أَخصُّ من الدار . قال أميّةُ ابن أبي الصَلت يمدح عبدالله بن جُدْعان :

له دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ
وآخَرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنادي

(١) الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية ، الجزء الثاني (ص ٦٥٩ ــ ٦٦١) تأليف : اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، عني بنشره : السيد حسن شربتلي ، مطابع : دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنياوي .

والدَارَةُ : التي حَوْلَ القمر ، وهي الهَالَةُ . وقول الشاعر زَمَيْلٍ الفَزَارِيّ

فَلَا تُكْثِرَا فيهِ المَلَامَةَ إنه

مَحَا السيفُ ما قال ابنُ دَارَةَ أَجْمَعا

ـ قال أبو عبيدة : هو سَالِمُ بنُ دَارَةَ ، وكان هجا بعض بني فَزَارَةَ فاغتالَهُ الفزَاريُّ حتَّى قتله بسيفهِ .

ويقال : ما بها دُوريٌّ وما بها دَيَّارٌ . أي أَحدٌ

وهو فَيْعَالُ من دُرْتُ . وأصله دَيْوَارٌ ، فالواوُ إذا وقعت بعد ياء ساكنة قبلها فتحةٌ قلبت ياءً وأدغمت ، مثل أَيَّام وَقيَّامٍ

وَدارَ الشيءُ يَدُورُ دَوْراً وَدَوراناً . وأَدَارَهُ غيره ودَوَّرَ به.

وتدوير الشيء : جعله مُدَوَّراً

ودُوَارٌ بالصنم : صَنَمٌ ، وقد يفتح . وقال امرؤ القيس :

فعَنَّ لنا سِربٌ كأنَّ نِعَاجَهُ

عَذَارَى دُوَارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ

والدُوارُ : أيضاً من دُوَارِ الرأس . يقال : دِيرَ بالرجل ، وأُدِيرَ به

ودَيْرُ النصارى ، أصله الواو ، والجمع أَدْيَارٌ

الدارات في قطر المحيط [1] :

الدَوْر : الحركة وعود الشيء إلى ما كان عليه ج ادوار

الدَّيْـر : مسكن الرهبان والراهبات . وأصلهُ الواو عن الجوهريّ
ج أديار وُدُيورة ودِيَارات وأدِيرَة

الدَّارة : المحلُّ يجمع البناءَ والعَـرَصة وهي أخصُّ من الدار . والدارة
أيضاً القبيلة وكل أرض واسعة بين جبالٍ وما أحاط بالشيء
ومن الرمل مـا استدار منهُ والحلقة وهالة القمر ج دارات
ودُوْر .

ودارات العرب أمكنة في بلادهم كدارة جُلجُـل ودارة رَفْرَف ونحوهما
وهي كثيرة تنيف على مائة وعشر دارات . ودارةُ معرفة الداهية .

دَارَيَّـا : بلدةٌ بظاهر دمشق ، والنسبة إليها داراتيٌّ على خلاف القياس

الدِيْـرَة : ما استدار من الرمل

الداريُّ : بائـع العطر منسوبٌ إلى دارين وصاحب النـعَم والملاَّح الذي
يتولّى الشراع والملازم لدارهِ ومن الابل المتخلف في مبركهِ .
وما في الدار داريٌّ أي أحدٌ .

في المعجم الوسيط [2] :

الدَّارُ : المحل يجمع البناءَ والسَّاحةَ ، والمنزل المسكون، والبلد، والقبيلة

---

(١) كتاب قطر المحيط (ص ٦٧١) ، تأليف : المعـلم بطرس البستاني عُفي عنهُ ، المجلد الأول من قطر المحيط .

(٢) المعجم الوسيط (ص ٣٠٢-٣٠٣) عن مجمع اللغة العربية ،قام بإخراجه=

ودار الإسلام : بلاد المسلمين ، ودار السلام : الجنة ، ومنه قوله تعالى : (لهم دارُ السلام) . وبغداد ، ودارُ الحرب : بلاد العدو ، (ج) أدْؤرٌ ، ودِيارٌ ، ودِيارةٌ ، ودُورٌ . وجمع ديارة : ديارات.

الدَّارَةُ : الدّار ، وما أحاطَ بالشيء ، ومن القمر : هَالتهُ ، وما استدار من الرمل ، وكل موضع يُدار به شيء يَحْجِزُه ، وكلُّ أرض واسعة بين جبال ، (ج) دُورٌ ، ودارات ، وداراتُ العرب : سهول بيض تنبت ما طاب ريحه من النبات ، وهي تنيف على مائة وعشر ، منها : دارةُ جُلجُل .. الخ .

(الدُّوارُ) : الدّورانُ يأخذ في الرّأس .

(الدّوْرُ) : الطَّبَقَةُ من الشيء المدار بعضهُ فوق بعضِه . يقال : انفَسَخَ دَوْرُ عمامتِه . وعند المناطقة : توقُّف كلٍّ من الشيئين على الآخر ، والنَّوْبَةُ ، (ج) أدوار .

(الدَّوَّارُ) : الكثيرُ الدَّوَران . ويقال : الدّهْرُ دَوّارٌ بالإنسان : دائرٌ به ، والكعبة ، والبيت الحَرَامُ ، وفي علم الطبيعة : الجزْءُ القابل للدوَّران من آلةٍ ما (مج) .

(الدُّوّار) : مُسْتَدارُ رمْلٍ تَدُور حوله الوُحوُش ، والكعبة ، والبيت الحرام ، والمنزل ، ومَبنىً في الريف المصري يقيم فيه عمدة القرية .

= ابراهيم مصطفى ، حامد عبد القادر ، أحمد حسن الزيات ، محمد علي النجار ، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون ، الجزء الأول ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م .

(الدَّيّـارُ) : يقال : ما بالدّار دَيّارُ : أَحدٌ .

في المنجد[1] :

(الدار) : مؤنثة وقد تذكّـر : المحلّ والمسكن (ج) دُور ودِيار وأدْؤر وأدّور وأدْورَة ودِيـــارَة وأدوار ودورات وديارات ودوران وديران . الدار أيضاً : البلد . القبيلة يقـال (فزت بها دارُ بني فلانُ) الحوْل أو الدهر .

دار القرار : الآخرة . الداران: الدنيا والآخرة . دار الحرب: بلاد العدو

(الدّارَة) : المحل القبيلة . كل أرض واسعة بـين جبال الحلقة هالة القمر ج دارَات ودور .

(والديرة والتّدْورة) : من الرمل : مـا استدار منه . ودَارَات العرب : أمكنة في بلادهم تنيف على مائة وعشر .

(الداريّ) : العطّـار نسبة إلى دارين وهي فرضة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من الهنـــد الملاّح الذي يتولى الشراء صاحب النَّعَـم والمواشي .

ـ يقال مـا في المكان (داريّ أو دُوريّ أو ديّـار أو دَيّـورُ) أي أحد الدْوري أيضاً : عصفور .

---

(١) المنجد (ص ٢٢٩ ـ ٢٢٧) وهو معجم مدرسي للغة العربية ، تأليف : لويس معلوف ، حقوق الطبع محفوظة للمطبعة ، طُبع في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بـــيروت ، الطبعة الحادية عشرة (الألف الثامن والسبعون) نيسان سنة ١٩٤٩ .

(الداريّة) : الملازم داره والتاء للمبالغة .

(الدَوْر) : مص، الحركة، عود الشيء إلى حيث كان أو إلى ما كان عليه (ج) أدوار : المرّة ـ عند الاطبّا : نوبـة الحمّى ـ عند الموسيقيين : القطعة المركبة من بيتين فأكثر . علم الادوار : الموسيقى .

(الدَوْرَة): اسم المرّة من دار .

(الدُوَار والدَوَار) : شبه الدَوَرَان يأخذ بالرأس وهو المعروف عند العامة بالدوخة .

(الدَوّار والدَوّاري) : كثير الدَوَران يقال « الدهر دَوّارٌ ودّواري بالإنسان » أي دائر به .

دَوّارَ الشمس : نبات يميل زهره حيثما مالت (الصورة) .

(الدُوّار) : مستدار الرمل ، المنزل .

(الدَوّارة) : أداة لها شعبتان تنضمان وتنفرجان لتقدير الدوائر وهي البركار .

في متن اللغة [1] :

الدّار : المحل يجمع البناء والعرصة : الموضع يحلّ بـه القوم : المنزل المسكون: المحلة تسكنها القبيلة، وهي أنثى وتذكّر على التاويل

---

(١) معجم متن اللغـة (ص ٤٧١) موسوعة لغوية حديثة ، للعلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجـلد الثاني دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

ج أدؤر وأدْوُرٌ وآدُرٌ ودُور ودِير وديرَة وديار ودوار
ودِيارة وديارات وأديار ودِيران ودُوران وأدْوار وأدْوِرَة
ودُورات ودارات ودارة، والبلد: اسم مدينة الرسول المصطفى
(ص) و اسم صنم به سمي عبد الدار .

الدّار : في ترتيب الدولة : عدّة دوائر في بناية واحدة كدار الحكومة ،
ودار العدل « كذا أمرَها مجمع دمشق . جدول : م د : ٢٦ » .

الدَّارة : الدّارُ ما أحاط بالشيء ، القبيلة : كل أرض واسعة بين جبال
تكون غليظة وسهلة، ج دُور ودارات، ومن الرمل: ما استدار
منه ، وداراتُ العرب تزيد على مائة وعشر عـدّها صاحب
القاموس المحيط، و هالة القمر: كل موضع يُدار به شيء يحجزه
فاسمه دارة .

دَارةُ الوجه : ما يحيط به من جوانبه ، وعلم على الداهية . الدَّارةُ ج دور
ودارات ، والدَّيِّـرة ج ديّـر ، والتَّدْورة والدُّورَة .

والدَّورَة : ما استدار من الرمل ، وهو الدّوّار والدّوَّارة .

في البستان[1] :

الدار : المحـل يجمع البناء والعرصة مؤنثة ويندر تذكيرها (ج) أدّور
وأدُور وديار وديارة وديران ودور ودوران ودُورات
وديارات وأدوار وأدورة والبلد ومدينة نبيّ المسلمين والقبـلةُ

---

(١) البستان (ص ٨٠٩) وهو معجم لغوي ، تأليف : الشيخ عبد الله البستاني اللبناني عفى عنه ، الجزء الأول من أ ــ ص ، رغب إليه في طبعه قيمو المطبعة الأميركانية وحق طبعه محفوظٌ لها المطبعة الأميركانية ــ بيروت ــ ١٩٢٧

« مرّت بنا ديار بني فلان » و الحوْل « وما ندري أيوماً » .
تعيش أم داراً والدهرُ .

« دارُ الإسلام » بلاد المسلمين « دار الحرب » بلاد العدوّ .

الدّوارُ : بالضم شبه الدوان يأخذ في الرأس فيخيّل لصاحبه أن المنظورات تدور عليه وان بدنهُ ورأسهُ يدوران فلا يملك أن يثبت ويسكن بل يسقط .

الدّور : بالفتح الحركة وعود الشيء إلى ما كان عليه ج أدوار .

الدّارة : المحل يجمع البناء والعرصة والقبيلة وكل أرض واسعة بين جبال وما أحاط بالشيء وهالة القمر ج دارات ودُور .

دارات العرب : أمكنة في بلادهم كدارة جلجل وغيرها الدّيرة كالدارة من الرمل .

الداريّ : العطار منسوب إلى دارين وهي فرضة بالبحرين يحمل إليها المسك من الهند ومن الأمثال «مثل الجليس الصالح كمثل الداريّ»

الداريّة : الملازم لداره والتاء هنا للمبالغة .

الدوّار : فعال من الدوّر للمبالغة يقولون « الدهر بالناس دوّارُ » أي يدور عليهم باحواله المختلفة .

الدوّار : بالفتح ويضم الكعبة لدوان الحاج حولها . وضم .

دوار الشمس : نبات يستقبلها بزهرة وكيفما اتجهت .

الدّوّار بالضم : أيضاً مستدار رمل تدور حوله الوحوش والمنزل .

الفصل الرّابع

الدارات والمقدمة التقليدية للقصيدة العربية بين القدماء والمحدثين

الدارات والمقدمة التقليدية للقصيدة العربية بين القدماء والمحدثين :

ما يزال الكلام عن هـــذه المقدمة قادراً على أن يثير الجدل ويبعث التساؤل ، وهي ذاتهـــا موضوع جليل بما له من أصالة التاريخ ، وروعة الأثر الخالد ، وهذه المقدمة ظاهرة فنية لم تقف عند حـدود تاريخها الذي استقرت فيه حقيقة تفرض نفسها على الشعر والشعراء، بل تجاوزت ذلك وعبرت حدود التاريخ، وأخذت أحياناً كثيرة تفرض سلطانها على شعراء العصر الحديث ، حتى سنوات غير بصيرة من بداية القرن العشرين ، لدى شعراء الاتجاه المحافظ الذي اتبعت الشعر وأعاد إليه رواءه [1] .

ومحور الحديث عنها هنا هو : جدل حولها يعترف بشموخ المحاولات التي بذلت من قبل لتفسيرها ، ولكنه يؤكد ضرورة التساؤل حول هـذه

---

(١) سبق وأن قمت بنشر هـذا البحث بمجلة (الفكر العربي) العدد (١٣) نوفمبر ١٩٨٧ م تحت عنوان (نظرات في مقدمة القصيدة العربية) .

التفسيرات لدى القدماء والمحدثين على سواء . وربما تطاول إلى القول بعدم كفايتها .

لقد سبق ابن قتيبة وقدّم تفسيره الذي فرض نفسه على دارس الأدب لعدة أجيال ، ولكن الدراسات الحديثة لم تقبله تفسيراً نهائياً لهذه الظاهرة يقول ابن قتيبة : « سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ، ثم وصل ذلك بالنسب فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به اصغاء الاسماع إليه ، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء . فإذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق ، الخ » .

في كلام ابن قتيبة هذا ما يدل على أن الشاعر كان يعمد إلى ذلك من باب الصناعة الفنية ، لاستمالة السامع وشد انتباهه ، وهنا يبرز اعتراض ضخم على تفسير ابن قتيبة ، هو : أن الشاعر غير المحب ، وغير المعبر عن تجربة شعورية صادقة كان يعمد الى افتعال ذلك لتحريك الانتباه وشد الاسماع إليه . أما الشاعر المحب عندما وقف على الأطلال وهاجت مشاعره ذكرى الأحباب الظاعنين فإنه كان صادقاً كل الصدق ، ولم يكن في ذلك طالباً لاصغاء سامعيه ، ثم هناك كما رأينا مقدمات تعكس البعد النفسي للشاعر ازاء الموقف الذي تخلصت قصيدته لمعالجته .

ليس تفسير ابن قتيبة إذن على اطلاقه ، لأن من حقنا أن نفرق بين من يعالج مشاعره الذاتية ومن يتشبه به وينسج على منواله تقليداً واحتذاء

لغرض جذب الانتباه وبعث السرور وقهر الملل لدى السامعين .

وبمناسبة الصدق الشعوري الذي يقف وراء هذه المقدمة أزعم : أن شعرنا الحديث في فترة النهضة لدى الشعراء المحافظين، قد احتوى في بعض نماذجه مقدمات تقليدية حركها وهاجها شعور صادق واحساس حق ، ولكن الشاعر اتخذ لغة القدماء أداة للتعبير عنه ، لأنها أولاً وأخيراً كانت اللغة الأدبية التي اختلطت بأحاسيس شعراء النهضة وعواطفهم ، وكانت ترجمانهم الوحيد عن مشاعرهم ، لأن أسلوب الشعر حينذاك كان ضرباً من الرمز المستعار أو المعتمد على أساليب القدماء في المعجم والخيال ، ولكنه رمز لا يقف عند حدود التقليدية لا يتجاوزها ، وينقطع تماماً عن كل إحساس وشعور لدى صاحبه ، بل كثيراً ما كان ترجماناً لإحساس صادق وشعور حق ، ولكن الشاعر لم يكن يعرف وسيلة فنية للتعبير عنه غير وسيلة القدماء . نعم هناك مآخذ كثيرة وخطيرة ضد الشاعر الحديث ، ولكنها لا تتطرق إلى صدق الشعور ـ ذاته ـ الذي حرّك الشاعر في عصرنا إلى القول على طريقة القدماء الذين يشكلون عالمه المثالي للأخذ والاحتذاء . وعلى أية حال فليس هنا مجال طرح هذه القضية للمناقشة ، ولكني أعد بتقديم بحث خاص بها يعتمد على شرح وجهة النظر مدعمة بأدلتها ونماذجها الشعرية .

انتقل الآن إلى وجهة النظر الحديثة التي تفسر ظاهرة النسيب أو المقدمة الغزلة ، وقد بدأها فيما أعلم الدكتور « فالتر براونه » الاستاذ بجامعة برلين الحرة ، وهو يرى أن النسيب يتعلق بالمسائل البارزة التي يسألها الفلاسفة والأدباء في أيامنا هذه أمثال الوجوديين. و (أنه) الموضوع الذي يسترجع إنسان اليوم وزنه وأهميته وهو القضاء والشقاء والنهاية .

أما إذا لم نحـاول أن نرد هذه الظاهرة إلى لا وعي الشاعر ، لا شك أن من حقنا أن نضحك كما ضحك أبو نواس وهو يقول :

عاج الشقي على رسم يسائـله وعجت أسأل عن خمارة البلد

ان د. براونه يرد المسألة إلى حيرة الشاعر وقلقه من «مخاوف الوجود» ويرى أن هذه حقيقة تكن في اللاوعي لدى الإنسان العربي آنذاك، ويرى أننا نستشف في أصوات الشعراء ـ حتى في ساعات الصفو واللهو والشراب ـ آهات الألم .

ولكن تطبيقاً أكثر عمقاً وأبعد مدى قدّمه الدكتور عزالدين اسماعيل معتمداً فيه على التفسير النفسي ، وعلم النفس التحليلي ، مخلصاً في ذلـك لنظرية فرويد التي تقول: « ان الصورة التي تقدمها الحياة إلينا هي نتيجة لنشاط غريزة الحب وغريزة الموت في وقت معاً » . وتفسير الدكتور عزالدين يلتقي في محوره الدقيق مع فكرة الدكتور براونه ، وفي الوقت ذاتـــه يتقدم عليه في رحابة الاستيعاب وتأصيل التطبيق ، وتمحيص الجزئيات .

وجملة هـــذا الرأي أن شعراء الجاهلية « قد صدروا في نسيبهم عن مشاعر صادقة كامنة في نفوسهم تمثل نوعاً من القلق الوجودي الذي يبدو طبيعياً في عصر كالعصر الجاهلي . فهذا القلق ازاء الكون وازاء معمياته لم يكن في ذلك العصر ـ ولا يمكن أن يكون ـ مجرد مشاعر فردية، تعتمل في نفس إنسان دون آخر ، وإنمـا هي مشاعر مشتركة تمثل موقفاً إنسانياً مشتركاً. ويتضح ذلك في أن الشاعر الجاهلي قد جمع في قطعة النسيب التي تتصدر قصيدته بين عنصرين أحدهما يذكر بالفناء وهو الأطلال، والآخر يذكر بالحياة وهو الحب وليس اجتماع هـذين النقيضين : الحياة والفناء في

الموقف الواحد ، وارتبط أحدهما بالآخر إلا تأكيداً لإحساس الشاعر بالتناقض العام الماثل سواء في العالم الخارجي أو عالمه الباطني . فالتناقض الذي تمثله قطعة النسيب ليس تناقضاً لفظياً أو فكرياً ، وإنما هو تناقض وجودي يتمثل في واقع الحياة كما يتمثل في كيان الفرد الحي » .

وفي عبارة واحدة يمكن تلخيص الفكرة في أن مقدمة النسيب (ظاهرة تدل على قلق الإنسان العربي ـ آنذاك ـ ازاء الكون ومعمياته، وازاء الحيرة أيام تناقض الوجود : بالحياة والفناء) .

وتطرأ على هذا التفسير جملة اعتراضات هامة مع التأكيد بأن هذا التفسير أفاد وسيظل يفيد الباحث عند معالجة هذه القضية ، خاصة إذا لم يتفق الرأي معه ، لأنه عند الاتفاق تستقطب فوائد تبعثها المخالفة القائمة على الاقتناع بمسائل أخرى جادة، أو الحائرة في طلبها الحق بالقلق والمحاولة.

والآن نطارح الاعتراضات التي نعتبرها أمام هذا التفسير :

أولاً : يجب أن نسلم بأن الريادة التي خاضها فرويد في الأبحاث النفسية تجعلنا في حل من عدم التسليم المطلق بآرائه، ولعل في مقدمتها الرأي الذي انبثق منه هذا التفسير . يقول استاذنا العقاد : « وأولى الأقطاب النفسيين بالحذر من تعليلاته هو رائدهم فرويد، وإنما كان الأولى بالمحاذرة لأنه الرائد الأول وفيه إلى جانب فضائل الرواد كل عيوب الارتياد، ومنها الاقتحام» ثم يذكر أنه وثب إلى «تعليلات وتعميمات لا تستند إلى الوقائع والمعلومات وقد تبطلها وتفندها جميع الوقائع والمعلومات كدعواه الأخيرة عن إرادة الموت في الإنسان ، وأنها إرادة كامنة فيه كإرادة الحياة » .

ثانياً : يستأنس ، بل يستدل أكثر الدارسين ـ ومنهم أصحاب هذا

التفسير - بموقف أبي نواس في رفضه الوقوف على الأطلال وسخريته منها على أنه مجدد ، بل رائد في تجديده ، وليس في وسائل البحث العلمي ما هو أولى في نظرنا من الدراسات النفسية بتمحيص موقف أبي نواس في كل شيء حتى في الحركة والهمسة ، وفي الدراسة النفسية العملاقة التي قدمها استاذنا العقاد نعرف أن أبا نواس كان مصاباً بآفة « النرجسية » ومن أبرز لوازمها « العرض » أو ما تترجمه العبارة الدارجة « خالف تعرف » .

فهو على سبيل المثال لم ينظم شعراً في الخمريات والمجون إلا ونتبين منه أن الجهر بالمحرمات أقرب إلى هواه من المتعة بالمعومات نفسها ، يحركه في ذلك حب المخالفة للشائع المقرر ، المتفق عليه ، فهو يقول مثلاً :

وان قالوا : «حرام» قل: «حرام» ولكن اللذاذة في الحرام

فالمتعة تكبر في حسه بمقدار المخالفة، لا بمقدار المتعة ذاتها. ومن خلال هذا المفتاح لشخصية النواسي يقول العقاد : « ومن اللغو كذلك أن يقال كما قال بعض المستشرقين أنه يكره الإشارة إلى الطلول في مطالع القصائد ولعاً منه بالتجديد ونفوراً من القديم » .

ثالثاً : ننتقل إلى جوهر الفكرة القائلة : بأن العربي كان قلقاً أهم احساسه بالتناقض العام الماثل سواء في العالم الخارجي أو عالمه الباطني ، والدلالة البعيدة لاختياره عنصري النسيب : (الوقوف على الأطلال ، وذكر المحبوبة) نعني أن هذا الاختيار انعكاس وتعبير عن هذا التناقض وذلك القلق .

وهنا تبرز أمامنا مجموعة أفكار نعرضها مرتبة ونناقشها ، محاولين تصفيتها في خطين كبيرين : أ - ب .

أ - هـــل كان الإنسان العربي قلقاً أمام شعوره بعميات الكون ،

وبالتناقض الماثل أمامه في العالم الخارجي والقائم أيضاً في أعماقه البعيدة في اللاشعور ؟ هنا على الفور تقفز أمامنا أهمية البيئة في دراسة الفن الأدبي باعتبارها عاملاً قوي التأثير فيه، ونقصد بها ذلك المعنى المتفق عليه والذي قام بشرحه الدكتور طه حسين سنة ١٩١٥ وهو : أن مفهومها « يجمع الزمان والمكان والحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية ، وكل أمر خارجي يمكن أن يكون قد ترك في نفس الشاعر أثراً ما » .

وبمجرد تذكر المعارف الشهيرة المقررة عن بيئة الجاهلي . نشعر للوهلة الأولى ، أننا إذا طبقنا عليه نظرية المحدثين الآنفة فإنه يلزم لسلامة تطبيقها أن نسلخه من بيئته، فالعربي ربيب الصحراء الفسيحة كان يرى كل شيء بوضوح ، والطبيعة بكل مظاهرها لا تغيب عنه ، ولا تحتجن دونه الأسرار ، وهو قد قطع صحراءه سيراً على قدميه ، أو فوق ظهر ناقة متاجراً ومحارباً وطالباً للماء والكلأ ، وهو حتى إذا نام إلى جانب الصخرة ، أو استقر في قاع الوادي، أو احتمى بحضن الجبل لم يكن شيء من ذلك بحجب عنه ما وراءه ، لأنه يعرفه معرفة المرء بأسرار داره ، فلم تكن الطبيعة حوله تبعث الفزع والرعب ، وتحتقب دونه الأسرار ، وتطرح عليه المفاجآت وتحاصره بالألغاز ، بل هي متجلية له دائماً ، ومن ثم لم يكن للعرب « مثيولوجيا » كما كان لغيرهم ، لأن خيال العربي لم يكن مفزعاً أمام تجهم الطبيعة وغموضها ، وقد بلغت معرفة العربي ببيئته وبكل ما تحتويه درجة من الوضوح تيسر لي الوقوف عليها على نحو غير متوقع عندما أجريت - منذ أكثر من عشر سنوات - بحثاً خاصاً على مدى تصوير الأمثال العربية للبيئة بكل ما تحويه .

والبيئة العربية في جانب التقاليد والعادات وأنواع العلاقات الاجتماعية

والاقتصادية كانت الأمور فيها مقررة شأن الجماعات البدائية في قلة التعقيد والجنوح بالضرورة إلى البساطة .. فالأغلب ، بل الأولى أن يقال أن هذه البيئة قد بسطت في عقله الواعي ، وأنها لم تدع في أعماقه مستقراً ذا قيمة تتساقط فيـــه الاحساسات الصعبة المفزعة ، ونتيجة البساطة السائدة والصرامة غير المختلف عليها كان العربي أقل الناس قلقاً وأيسرهم معاناة . خاصة وأن القلق موضوع هـذا النزاع ، نوع من القلق الفلسفي - وليس العاطفي - والنمط القبلي في الحيـاة الاجتماعية لا يساعد على ذلك . يقول المرحوم الدكتور محمـــد العلائي : « هناك طوران من أطوار التاريخ الأدبي لا يساعد أي منهما على تنمية العنصر الفكري في الفرد وتمكينه من النظر الفلسفي » ثم عد منهما النمط القبلي .

وشيء أخير في هذه النقطة . هو : لو أن ظاهرة النسيب كان مردها هذا القلق الفلسفي لكانت لدينا قصائد قد تخلصت لهذا الغرض وأسرفت فيه ، بـل لكانت لدينا قضايا - شهيرة في أدبهم - تعكس الشعور بالقلق ، وتمتاز بلون من العمق الفلسفي المناسب لهـذا القلق ، الذي يفرض نفسه على حياة الجماعة فضلاً عن الفرد . نعم هناك طرف من هـذا الشعر الذي يطرح نماذج من القلق الفلسفي نجده عند زهير في حكمه ، وفي أبيـات من معلقة طرفة ، ولكن هـذه اللمحات الشعرية كانت فردية ، وكانت بعيدة عما نحن فيه . ثم كانت ايذاناً بميلاد الفجر الجديد الذي امتصها ، وقـــدّم تفسيرات لكل ما طرحته وما لم تطرحه ، وهو : الإسلام .

ب - هل اختيار النقيضين : (الأطلال والحب) في مقدمـة النسيب يعكس شعور العربي بالقلق ، وأنه اختيار يدل على هـذا القلق ويرشد إليه ؟

وإذا كان ثمـــة اختيار فلن يكون لدينا مجال لخلاف يذكر ، ولكن الحق أنه ليس هناك اختيار، ان الشاعر لم يعمد بأي صورة من الصور إلى اختيار هـذين العنصرين للتعبير عن نفسه ، ولكن أوضاع البيئة جعلته يرتبط عاطفياً بمشهد الأطلاع ، فالطلل الذي كانت تسكنه الحبيبة يذكر بها ويدل عليها ، بل كل طلل يتسع ليبعث في الشاعر الذكرى ، خاصة إذا كان ماراً بديارها ، أو بطريق سبقته بالرحلة فيهـا . فالشاعر لم يعمد إلى ركام الحيـاة المزدحم بالدلالات ، ليستخلص منه هذين العنصرين ليدل بهما على حال نفسه ، وهذا الاختيار كما لم يكن عمداً لم يكن عفوياً ، بل فرضته الطبيعة، ولو كان كل ما تفرضه الطبيعة على الإنسان صالحاً لأن يعمق فيه شعور القلق ، لكان لليقظة بعد النوم ، والنوم بعد اليقظة أكبر الأثر في الدلالة على هذا القلق ، لأنهما نقيضان يجمعان بـين الحياة والموت . ولست أدري مـا إذا كان شعراء أمة أخرى غير العرب حتى في عصر من عصور الثقافة المعقدة قـد وقف عند Thanatos & Eros المتوفرين في ظاهرة اليقظة وصلتها بحب الحياة ، والنوم وصلته بالموت والعدم والفناء .

يبدو أنه يصبح في المقدور الآن القول بأن تطبيق نظرية « الحياة والموت » ـ التي بدأها فرويد ـ على مقدمة القصيدة إنما هو تطبيق لقوالب قد أعدت مقدماً، لأن الجمع بين عنصري الاطلال والحب، لم يكن مقصوداً بعمد خاص من الشاعر، فالظاهرة في الشعر الجاهلي ـ ومن باب أولى لدى المقلدين لهذا الشعر ـ ليست دليلاً على القلق ، خاصة وأن الظاهرة لم تكن ذاتية فردية ، بل هي ظاهرة وثيقة الصلة بتكوين البيئة بجميع عناصرها المادية والمعنوية .

ولا يفوتنا هنـــا أن ننبه إلى أن تفسير الدكتور العلائي للبكاء على

الأطلال في قوله : « فبكاء الأطلال مثلاً ليس عاطفة خاصة ولا تجربة وجدانية ذاتية ، بل نشوة حزينة أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني وبالحنون إلى المقام والاستقرار ، وكان يمكن قبول هذا التفسير في ضوء فهمنا العام لهـــذه القضية ، لو أن قضية الأطلال في شعرهم كانت منفصلة عن الحبيبة ، لأنها حينئذٍ تقصد الطلل لذاته ، والمكان من ورائه ، وسنجد فيها حينئذٍ ـ وبغير شك ـ مناجاة يفوح منها الحنين إلى الاستقرار ، ولكن شعر النسيب مـــا كان يقصد الطلل إلا من أجل المحبوبة والحب .

ثم ماذا بعد هذا كله : ان المناقشة المتقدمة تلقي ـ من وجهة نظرنا ـ أكثر من ضوء على أهم التفسيرات التاريخية والنفسية التي قدمت لهـــذه الظاهرة منذ تكلم ابن قتيبة حتى الآن فيما نعلم . وليس المهم لدى الباحث أن يضيف جديداً عندما يناقش ما استقرت عليه الأوضاع ـ ولو إلى حين ـ إذ التساؤل نفسه إضافة ، لأنه الحاح بعدم القبول بتوقف النظر في بحث القضية موضوع الحوار ، وهو بالطبع إلحاح يحمل حيثياته .

ومع ذلك فلدي ما أريد أن أقوله ، لأحدد مواقع الخطو ، واتجاه الرؤيا بعد هذه المناقشة :

أولاً : كانت مقدمة النسيب في بعض الأحيان تعبيراً عاطفياً أصيلاً وأميناً من الشاعر الذي صدرت عنه ، وهي عندما تأتي على هـذا النحو لا يصعب إدراكها ، وإدراك الألوان والظلال النفسية والشعورية المحيطة بها ـ خاصة في دراسة كل شاعر على حده ـ ومن بين هـذه الظلال : شعور هذا الشاعر بالقلق ، أو عدم شعوره . وحينئذٍ لا يدخل معنا تفسير ابن قتيبة بأي حال من الأحوال ، لأن الشاعر في هذه الحالة لم يقصد إلى تحريك

النفوس ، بل قصد أولاً وأخيراً إلى بث لوعته والتنفيس عن ذاته بالتعبير عن التجربة التي عناها ، ومن المؤكد أننا سنجد شعراء قد أحسوا القلق وعانوه في الوعي وليس اللاوعي ، ومنهم زهير وطرفة ، على أن أبرز نماذج هذه المعاناة عندهم كانت في أبيات تخلصت للتعبير عن المعاناة وجهاً لوجه ولم يكن مكانها مفتتح القصيدة .

ثانياً : في أحيان أخرى كانت مقدمة النسيب تقليدية ، وهنا لا يأتي غير تفسير ابن قتيبة، مع إضافة هامة ويسيرة هي أن نوعاً من التقليد كان لمجرد الاحتذاء بالقدماء ، ولا يمكن القول بأن واحداً من المقلدين ـ أياً كان دافعه ـ كان يعبّر عن حيرة وقلق أمام إحساسه بالحب وشعوره بالفناء في معلم الطلل الدارس ، لأن ذهنه وشعوره لم يكونا متجهين إلا إلى محاذاة النموذج موضوع التقليد .

ونعود فنؤكد أن مقدمة القصيدة قد فرضت نفسها باعتبارها واقعاً قضت به البيئة بعناصرها الجغرافية والإجتماعية والنفسية ، ولا نستطيع التسليم بأن الشاعر عمد من حيث لا يدري إلى أخذ الأطلال إلى جانب الحب ، ثم كان هذا الأخذ تعبيراً عن القلق والتناقض . كان يمكن التسليم بهذا لو أنه اختار هذين العنصرين دون غيرهما من وسط ركام الحياة المليء بالرموز . ولكن الرمز كما هو واضح قد فرض نفسه لأسباب بيئية ، وبين طرفيه علاقة تلازم لا تنازع .

والله ولي التوفيق

شرح وتحقيق نص كتاب

الدارات بين الاصمعي وياقوت الحموي

دار جلجل :

قال ابن السكيت [1] في تفسير قول امرىء القيس [2] :

---

(١) ابن السكيت : هو أبو يوسف ، يعقوب بن السكيت ، ولد حوالي سنة ١٧٨ = ٨٠٢ م ، وتوفي حوالي ٢٤٥ = ٨٥٩ م من أصل فارسي ، كان شديد التشيع للإمام علي وآله ، عاش في بغداد ، وكان مؤدباً لأولاد الأمراء ، فكان من علماء بغداد ، وأخذ من الكوفيين . وكان أبوه السكيت عالماً ، وكان الابن يعقوب متصرفاً في أنواع العلم ، وكان يقول : « أنا أعلم من أبي بالنحو ، وأبي أعلم مني بالشعر واللغة » ، وكان يعقوب عالماً بنحو الكوفيين ، وعلم القرآن والشعر ، لقي فصحاء العرب وأخذ عنهم ، وحكي في كتبه ما سمعه منهم وله حظ من الستر والدين (الفهرست لابن النديم ص ١١٣ - ١١٤) . وقام بعمل دواوين كثير من الشعراء ، منهم امرؤ القيس ، والحطيئة ، ولبيد بن ربيعة ، والاعشى الكبير ، وبشر بن أبي خازم ، مهلهل ، وعدي بن زيد والخنساء .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي ، وهو من أهل نجد ، من الطبقة الأولى . وهذه الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد. قال لبيد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس. ومُلك حجر على بني أسد،=

ألا رب يوم لك منهن صالح ،

= فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصي ، فسموا عبيد العصا وأسر منهم طائفة ، وكان فيهم عبيد بن الأبرص . وترجم لامرىء القيس عـــدد كبير من الرواة منهم صاحب خزانة الأدب ١ : ٣٠٢، وصاحب الأغاني ٤ : ١٤٠، وصاحب طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي ٤٤ ، وقـد صدر ديوانه محققاً تحقيقاً علمياً على يد الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم .

وكان امرؤ القيس عاشقاً لإبنة عمه عنيزة ، وهو صاحبة يوم جلجل، والذي كمن لها في غياب الحرس. وكان النساء قد وردن الغدير وقلن: لو نزلنا فاغتسلنا في هـــذا الغدير فذهب عنا بعض كلال السفر ، فنزلن في الغدير ونحين العبيد (وفيهن عنيزة) ، ثم تجردن فوقعن فيـه ، فأتاهن امرؤ القيس وهن غوافل ، فأخذ ثيابهن فجمعها وقعد عليها ، وقال : والله لا أعطي جارية منكن ثوبها ولو ظلت في الغدير يومها حتى تخرج متجردة فتأخذ ثوبهـا ! فأبين ذلك عليه ، حتى تعالى النهار ، وخشين أن يقصرن عن المنزل الذي يردنه ، فخرجن جميعاً غـير عنيزة ، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها ، فأبى ، فخرجت ، فنظر إليها مقبلة ومدبرة ، واقبلن عليه فقلن له : إنك قد عذبتنا وحبستنا وأجعتنا ! قال : فإن نحرت لكنّ ناقتي تأكلن منهـا ! قلن : نعم ، فخرط سيفه فعرقبها ونحرها ثم كشطها ، وجمع الخدم حطباً فأججن ناراً عظيمة ... فلما أرادوا الرحيل حملته عنيزة على رحلها ، وكان يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها فيقبلها ، فـــإذا امتنعت مال حدجها ، فتقول عقرت بعيري فانزل ، وفي ذلك يقول في معلقته الشهيرة :

ويوم عقرت للعـذارى مطيتي ... فيـا عجباً من رحلها المتحمل

يظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة ... فقالت: لك الويلات أنك مرجلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً ... عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلتُ لها: سيري وارخي زمامه ... ولا تبعدينا من جناك المعلل =

ولا سيما يوم بـــدارة جلجل

قال : دارة جلجل بالحمى ، ويقال بغمر ذي كندة .

وقال عمرو بن الختام البجلي :

وكنا كأنا يوم دارة جلجل

مـــدل على اشباله يتهمهم

وقال ابن دريد [١] في كتاب (البنين والبنات) : دار جلجل بين شعبي وبين حسلات وبين وادي المياه وبين البردان ، وهي دار الضباب مما يواجه نخيل بني فزارة ، وفي كتاب (جزيرة العرب) للأصمعي [٢] : دارة جلجل من منازل حجر الكندي بنجد وهذا أقرب .

دار خنزر :

ويقال (خنزر) بفتح الخاء أو كسرها .

قال الجعدي [٣] :

= ويعتبر النقاد امرأ القيس هو عمدة الشعراء العرب في الجاهلية وأميرهم ، والمعروف أنه قضى شطر حياته الاولى لاهياً عابثاً . فلما قتل أبوه حمل عبء ثأره ، فقضى شطر حياته الثاني في حروب وصراع ، ومات في أثناء عودته من رحلته الى قيصر ، وكان ذلك سنة ٥٦٥ م وهو من أهل نجد من شعراء الطبقة الاولى .

(١) من علماء اللغة الاجلاء ، وله مجموعة كبيرة من المؤلفات أشهرها كتاب « الجمهرة » و « المقصورة » وله ديوان شعر مطبوع .

(٢) سبق وعرفنا به وهو صاحب هذا المخطوط .

(٣) الجعدي هو النابغة الجعدي ، وهو عبدالله بن قيس ، من جعدة بن كعب=

ألم خيـــال من أميمة موهناً

طروقاً ، وأصحابي بدارة خنزر

وقال الحطيئة [1] :

إن الرزية ، لا أبا لك ، هالك

بـــين الدماخ وبين دارة خنزر

وقال العجيز :

= ابن ربيعة ، وأخوه جعدة عقيل وقشير والحريش . وكان يكن أبا ليلى، وهو شاعر مخضرم ، إني رسول الله ﷺ وأنشده :

اتيت رسول الله إذ جاء بالهدى	ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا
بلغنا السماء مجـــدنا وجدودنا	وانا لنرجو فوق ذلـك مظهرا

فقال رسول الله ﷺ : « إلى أين أبا ليلى » ؟ فقال : إلى الجنة ، فقـــال رسول الله ﷺ : ان « شاء الله » .

ترجم له ابن سلام ، والاصفهاني ، والمرزباني في معجمه ، والبغـدادي ، وصاحب المغني، وصاحب اسد الغابة ، وصاحب الاصابة ، وصاحب الاستيعاب وصاحب الموشح ، وبروكلمان ــ وجمع شعره بواسطة المستشرقة (ماريا نللينو).

(١) هو جرول بن أوس ، من بني قطيعة بن عبس : ولقب الحطيئة لقصره وقربه من الأرض . ويكنى أبا مليكة ، وكان راوية زهير . وهو جاهلي إسلامي ونرى انه لم يسلم إلا بعد وفاة الرسول ﷺ ، لأننا لم نسمع بذكره فيمن وفد على الرسول من وفود العرب ، ونشأ فقيراً ، ناقمــاً على الدنيا والناس ، وتكسب بشعره ، واشتهر عنه الهجاء ، الذي كان له فيـــه الباع الاكبر ، شهد معركة القادسية ، وعمر طويلا ، حتى أدركته المنية في عهد معاوية بن أبي سفيان .

ترجم له صاحب الاغاني ، وصاحب الخزانة ، والعيني ، وصاحب الاصابة، وابن سلام في طبقاته ــ وقد نشر ديوان الحطيئة مراراً ، وطبع بتحقيق الاستاذ نعمان طه (القاهرة ١٩٥٨) وعليه شروح ابن السكيت والسكري والسجستاني.

ويوم أدركنا ، يوم دارة خنزر
وحماتها ، ضرب رحاب مسايره

دارة الذنب :

ومكانها نجد ، في ديار بني كلاب

دارة الذؤيب :

وهي لبني الأضبط وهما دارتان

دارة رفرف :

بالفتح وتروى بالضم والتكرير ، ولها عدة معانٍ

الرفرف كسر الخباء ، وخرقة تخاط في أسفل الفسطاط ، والرفرف الذي في التنزيل قيل : هو رياض الجنة ، وقيل المجالس ، وقيل الفرش والبسط ، وقيل الوسائد ، والرفرف في هذا : الرف (بالضم) تجعل عليه طرائف البيت ، والرفرف : الروشن ، والرفرف نوع من المسك ، والرفرف: نوع من الشجر المسترسل ينبت باليمن، قال الراعي النميري [1] :

---

(١) هو حصين بن معاوية من بني نمير ، وكان يقال لأبيه في الجاهلية معاوية الرئيس وكان سيداً . وإنما قيل له الراعي لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره . وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشراف . ويقال هو عبيد بن حصين ويكنى أبا جندل وكان أعور . وهجاه جرير لأنه أتهمه بالميل لخصمه الفرزدق، فلقيه فعاتبه واستكفه ، فاعتذر إليه ، وجاء ابنه جندل من خلفه فضرب بالسوط مؤخر بغلته وقال له : انك لواقف على كلب بني كليب .

ترجم له صاحب الأغاني ، وصاحب المؤتلف ، وصاحب الخزانة ، وفي شرح النقائض في مواضع متفرقة ، وصاحب الخزانة ، وابن سلام ، وصاحب السمط، وصاحب الجمهرة ، وصاحب نسب قريش، وصاحب الحماسة الشجري، وغيرهم.

فدع عنك عند المنى ، إنما المنى
ولوع،وهل ينهي لك الزجر مولعاً
رأى ما أرته ، يوم دارة رفرف ،
لتصرعه يومـاً هنيدة مصرعا

قال ثعلب : رواية ابن الأعرابي [1] رفرف بالضم ، وغـيره رفرف بالفتح .

دارة رهي :

عند ياقوت رهي بالراء وذكر عليها قول جرير [2] :

---

(١) ابن الأعرابي هو أبو عبد الله محمد بن زياد الملقب بإبن الأعرابي، ولد سنة ١٤٥ = ٧٦٢ وتوفي بسامرا سنة ٢٢٥ = ٨٣٩ وقيل سنة ٢٣١ ، وكان عمره إحدى وثمانين سنة، وهو عالم كوفي، قال عنه ابو العباس : « قد أملى على الناس ما يحمل على أحمـال ، لم يرَ أحد في الشعر أغزر منه » . (الفهرست لابن النديم ص ١٠٨ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان جـ ١ ص ١١٦). وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : « شاهدت مجلس ابن الاعرابي وكان يحضره زهاء مائة إنسان، وكان يسأل ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب ، قال ثعلب : وقد لزمته بضع عشر سنة ما رأيت بيده كتاباً قط ، قرأ على القاسم بن معن ، وسمع من المفضل بن محمد ، وكان يذكر أنه ربيب المفضل كانت أمه تحته » .

(٢) هو جرير بن عطية بن حذيفة ، ولقب حذيفـة الخطفي ، وهو من بني كليب بن يربوع . وكان عطية ابو جرير مضعوفاً ، وأم جرير هي أم قيس بنت معبد، من بني كليب من يربوع . وكان له اخوان ، عمرو بن عطية ، وأبو الورد بن عطية . وولدت جريرا أمه لسبعة أشهر ، وعمر نيفاً وثمانين سنة ، وكانت وفاته باليمامة . وكان يكنى بأبي حزرة ، وكان له عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور منهم بلال بن جرير ، وكان أفضلهم وأشعرهم ، ويكنى بأبي زافر . =

لهـــا كل ذيال الأصيل كأنه ،
بدارة رهبي ، ذو سوارين رامح

وعند الأصمعي دارة وهبي

دارة صُلصُل :

وهي لعمرو بن كلاب ، وهي بأعلى دارها ، قال أبو تمامة الصباحي :

هم منعوا مـا بين دارة صلصل
إلى الهضبات من تضادٍ وحائـل

وقال جرير :

إذا ما حـــل أهلك يا سليمى
بـــدار صلصل شحطوا المذار
أبيت الليـــل أرقب كل نجم
تعرض ثم انجـــد ثم غارا
يحـــن فؤاده ، والعين تلقى
من العبرات حولاً وانحـــداراً

دار القلتين :

وتقع في ديار نمير من وراء تهلان ، وقال بشر بن أبي خازم [1] :

= ترجم لجرير بن سلام في طبقاته ، والاصفهاني ، وصاحب الموشح ، والعيني ، وصاحب شرح شواهد المغني ، وصاحب خزانة الأدب ، وقـد نشرت نقائضه هو والأخطل ، ونقائضه هو والفرزدق وتحوي معلومات وفـيرة عن شخصيته واتجاهه الشعري .

(١) هو من بني أسد، جاهلي قديم ، شهد حرب أسدٍ وطيء ، وشهد هو =

ألم خيالهـــا بلوى حبي ،

وصحبي بـــين أرحلهم هجوع

فهـــل تقضي لبانتها إلينا ،

بحيث انتابنا منهـــا سريع

سمعت بـــدارة القلتين صوتاً

لختمة ، والفؤاد بـــه مصنوع

دارة الكور :

بفتح الكاف وجاء في شعر الراعي النميري ، قال :

خبرت ان الفتى مروان يوعدني ،

فاستبق بعض وعيدي أيها الرجل

وفي تدوم إذا غـــيرت مناكبه ،

أو دارة الكور عن مروان معتزل

رواة ابن الأعرابي بفتح الكاف وغيره بضمها .

دارة مأسل :

وتقع في ديار بني عقيل ، ومأسل : نخل وماء لعقيل ، قال (عمرو[1]

= وابنه نوفل بن بشر الحلف بينهما . قال ابو عمرو بن العلاء : فحلان من الشعراء كانا يقويان ، النابغة وبشر بن أبي حازم . وكان بشر في أول أمره يهجو أوس ابن حارثة بن لأم الطائي وأسر بسبب ذلك .

ترجم له صاحب خزانة الأدب ، وصاحب الموشح ، ومختارات العلوي ، وقد كتب الباحث السوري د. عزة حسن لبشر ترجمة وافية في مقـدمة ديوانه الذي نشره محققاً في دمشق ١٩٦٠ .

(١) اعتقد أنه عمر بن لجاء الراجز ـ لأنه كان يهاجي جريراً وبينهما أشعار =

ابن لحاء) :

لا تهج ضبة يا جرير ، فإنهم
قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل
قتلوا سيترايا بن غول وابنه
وابن هشيم ، يوم دارة ماسل

وقال ذو الرمة [1] :

هجامن من ضرب العصافير ضربها،
أخذنا أباها يوم دارة ماسل،

العصافير : هي نوع من الابل (النوق العصافير) ، للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ويقال أنها كانت لقيس (لا نعرف بالتحديد من يكون قيس هذا) !

دارة مكمن :

تقع في بلاد قيس ، وفيها يقول الراعي النميري :

= في الهجاء المتبادل وهو من يكم بن عبد مناة بن أد بن طانجة بن الياس بن مضر من بطن يقال لهم : « بنو ايسر » . ترجم له صاحب الخزانة ، وابن سلام في طبقاته وصاحب الأغاني في الجزء الخاص بأخبار جرير .

(١) هو غيلان بن عقبة بن بهيش ويكنى بأبي الحارث ، وتحدثنا عنه في الهامش رقم (٥) من شرحنا للفائدة على كتاب الدارات وترجم لذي الرمة صاحب الأغاني ، وصاحب الموشح ، وصاحب شرح شواهد المغني ، وصاحب السمط ، وابن خلكان ، وصاحب الخزانة ، والعيني ، وبروكلمان ونشر العلامة مكارتين ديوانه في كمبريدج سنة ١٩١٩ م .

عرفت بهـــا منازل آل حبي ،
فـــلم تملك من الطرب العيونا ،
بدارة مكمن ، ساقت إليهـــا
رياح الصيف أرامـــا وعينا

وهناك المكامن وهي مكان لبني نمير في ديار بني ظالم .

دار وشجي :

قالها الأصمعي (وشحي) بالحـاء ، وعند ياقوت (وشجي) بالجيم ، وفتح الواو ، وقد تضم في بعض الروايات ، قال المرار :

حي المنازل اهـل من أهلها خبر
بدور وشجي ، سقي دارتها المطر

وقال سماعة أو هذيل أبنه :

لعمرك ! إني ، يومْ اشغل عاقـل
ودارة وشجي الهوى ، لينبوع

دار الخرج :

بفتح الخاء ، وكسر الجيم ، والخرج خلاف الدخل ، وهو لغـــة في الخراج ، ومنه : اجعل لنا خرجها ، ذكر في الخرج ، قـال المخبل [1] :

---

(١) المخبل السعدي هو ابو يزيد او ربيعة بن مالـك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة ـ والمخبل : المجنون وبـه سمي المخبل الشاعر ، وهاجر مع ابنه الى البصرة ، وولده كثير بالإحساء ، وهم شعراء . وكان المخبل قد هجا الزبرقان بن بدر وذكر اخته خليدة ، ثم مر بها بعد وقد اصابه كسر ، وهو لا يعرفها ، =

محبسة في دارة الخرج لم تـــذق
بلالاً ، ولم يسمح لهـــا بنجيل

الأرض السهلة اللينة .

دارة باسل :

ذكرها ابن السكيت، ولم أظفر لها بشاهد وما أظنها الإدارة (ماسل) بهمزة على الألف ، وسنذكرها فيما بعد .

دار بحتر :

تقع وسط اجاء (بكسر الهمزة) وهو أحـد جبلي طيء قرب جوّ وبحتر بن عتود بن عثين (بضم العين) بن سلامان بن ثعـل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة من طيء التي منها حاتم الطائي أمير الكرم العربي وأبو تمام وغيرهما من فحول العرب في الأخلاق والأدب .

دار الجأب :

الجأب : المعزة ، والجأب الحمار الوحشي الغليظ ، ودارة الجأب دار لبني تميم يقول جرير في قصيدة رائية له :

ما حاجة لك في الظعن التي بكرت
من دارة الجأب كالنخل المواقير

= فآوته ، وجبرت كسرة .

وترجم صاحب الأغاني للمخبل ، كذلك صاحب الخزانـــة ، والاصابة ، والمؤتلف ، والسمط .

كاد التذكر يوم البين يشغفني   ان الحليم بهذا غير معذور
مـــاذا أردت إلى ربع وقفت   هل غيرُ شوق وأحزان وتذكير ؟
هـل في الغواني لمن قتلن من قود   أو من ديات لقتلى الأعين الحور ؟
يجمعن خلقاً وموعودا بخلنّ بـه   إلى جمـــالٍ وأدلال وتصوير

ويقول جرير أيضاً في بائية له عن دارة الجاب :

أصياح! أليس اليوم منتظري صحبي   تحيي ديار الحيّ من دارة الجاب

وقال أيضاً :

ان الخليط أجد البين يوم غدوا   من دارة الجاب، إذا أحداجهم زمر
لـــا ترفع من هيج الجنوب لهم   ردوا الجمال لاصعاد وما انحدروا

ملحوظة : ذكر جرير دار الجاب في ديوانه مرات ثلاثة، وذلك دليل على شدة تعلقه نفسياً بهذا المكان ولعل قصة الحب التي عاشها جرير شاعرنا الاموي لم تبارح مشاعرة في الكبر والشيخوخة .

دارة الجمد :

قال الفراء : الجماد معناها الحجارة ، واحدها جمد، قال عمارة اليمني:

ألا يا ديار الحي من دارة الجمد   سلمت على ما كان من قدم العهد

دارة يمعون أو يمعوز :

رواها الاصمعي (يمعوز) بالزاي واستشهد بقول الشاعر :

غلامي حروب منكما قد تبايعا   باسياق أيام دارة يمعوز

ويقال (يمعون) بالنون واستشهد ياقوت في ذلك بقول القائل (بدار

يعون إلى جنب خشرم) ووصف ياقوت هذه الرواية بأنها جيدة .

دار قطقط :

بضم القاف ، وتسكين الطاء ، وضم القاف الثانية وهو اسم موضع ، عن كراعٍ ، والقطقانة بالضم موضع ، وقيل موضع بقرب الكوفة .

قال الشاعر :

ومن كان تسال عنا أين منزلنا فالقطقانة منـــا منزل قمن

أورد ياقوت (قطقط) و (قطقطانة) وروي الاصمعي (قطقط) فقط

والبيت السابـق لشاعر الغزل الاموي عمر بن أبي ربيعة ، وروي بيت ابن ربية (الاقحوانة) بدلاً من (قطقطانة) وذكرها ابن منظور صاحب لسان العرب ص ٣٦٧٤ (لسان العرب ـ دار المعارف) .

نص كتاب

فائدة على رسالة

« الدارات » للأصمعي

(شرح وتحقيق وتحليل)

فائدة على كتاب الدارات (*) :

ـ يقال أجهد[1] الرجل إذا وقع في جهاد من الأرض وهو ما غلظ منها.

(*) كتاب مادتها (ك ت ب) من باب نصر ، كتب (كتاباً) و (كتابة) والكتاب أيضاً الغرض والحكم القدر . و (الكاتب) على وزن فاعل عند العرب العالم ومنه قوله تعالى : « أم عندهم الغيب فهو يكتبون » و (الكتاب) بالضم وتشديد التاء (الكتبة) .

(١) أجهد مادتها (جهد) ـ (الجهد) بفتح الجيم وضمها الطاقة وقرىء بهما قوله تعالى : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » والجهد بالفتح المشقة يقال (جهد) دابته و (أجهدها) إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها ، و (جهد) الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ وبابها قطع . و (جهد) الرجل على ما لم يسم فاعله فهو (مجهود) من المشقة . و (جاهد) في سبيل الله (مجاهدة) و (جهاداً) و (الاجتهاد) و (التجاهد) بذل الوسع و (المجهود) و (جهاد الأرض) ما غلظ منها ، و (أجهد الرجل) أي وقع جهاد من الأرض .

قال أبو داود [1] :

---

(١) اختلفوا في اسمه، فقال بعضهم: هو جارية بن الحجاج، وقال الأصمعي: هو حنظلة بن الشرقي، وكان في عصر كعب مامة الأيادي، الذي آثر بنصيبه من الماء رفيقة النمري فمات عطشاً، فضرب به المثل في الجود فقال :

وأتاني تقحيمُ كعب إلى المنطق ان النكيثة الاقحام
في نظام ما كنت فلا يحزنك قول، لكل حسناءَ ذام
ولقد رابني ابن عمر كعب إنه قد يروم ما لا يرام
غير ذنب بني كنانة مني إن أفارق فانني مجـــذام

وكان بعض الملوك أخافه، فصار إلى بعض ملوك اليمن فأجاره فأحسن إليه فضرب المثل بجار أبي دؤاد، قال طرفة :

إني كفاني من هم هممتُ بـه جار كجار الحـذاقي الذي انتصفا

و (الحذاقي) هو ابو داود الأيادي وحذاق قبيلة من إياد .

ويقال : إنما أجاره الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وذلك ان قباذ سرح جيشاً إلى إياد، فيهم الحارث بن همام، فاستجار به قوم من إياد فيهم ابو دؤاد، فأجارهم .

وكان ابو عبيدة يذكر ان جار ابي دؤاد هو كعب بن مامة، وأنشد لقيس ابن زهير (بن جذيمة) في ربيعة بن قرط :

أحاول ما أحاول ثم آوي إلى جار كجار أبي دؤاد

وهو أحد نعات الخيل المجدين . قـــال الأصمعي : هم ثلاثة، ابو دؤاد في الجاهلية، وطفيل الغنوي، والنابغة الجعدي .

قال : والعرب لا تروي شعر ابي دؤاد وعدي بن زيد، (وذلك) لأن ألفاظها ليست بنجدية .

وقيل للحطيئة من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول : =

أمن رسم تعفي أو رمـاد　　　وسفح كالحمامـات الفراد
ونوى هامد كالطوق خاو　　　على مظلومة تغري الجهاد

ـ سال عبـــد الملك بن مروان[1] أعرابياً كان في مجلسه : ممن

= لا أعـــد الاقتار عدماً ولكن　　　فقدمن قـــد رزئته الاعدام
من رجال من الأقارب فادُوا　　　من حذاق، هم الرؤوس الكرام
فيهـــم للمُلايتين أناةٌ　　　وعرامٌ إذا يرادُ العُرام
فمـــلى إثرهم تساقط نفسي　　　حسرات، وذكرُهم لي سقام

ويعتبر النقاد هـذه الأبيات من اجود شعره وهي الاصمعية رقم (٦٥) من الطبعة المصرية .

واخذ الحطيئة بعض معانيه ـ هذا وقد ترجم له صاحب الاغاني ١٥ : ٩١ وصاحب الخزانة ٤ : ١٩٠ والعيني ٢ : ٣٩١ وشواهد المغنى : ١٢٤ وبروكلمان ١ : ١١٨ وقد جمع ديوانه وترجم له غروبناوم، ونشر ذلك في كتاب دراسات في الأدب العربي (بيروت ١٩٥٩) وعلى هذا الديوان اعتمدنا .

(١) عبد الملك بن مروان (٢٦ ـ ٨٦ هـ = ٦٤٦ ـ ٧٠٥ م) هو عبد الملك ابن مروان بن الحكم الاموي القرشي، ابو الوليد : من اعاظم الخلفاء ودهاتهم. نشأ في المدينة، فقيهاً واسع العلم، متعبداً، ناسكاً . وشهد يوم الدار مـع ابيه واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة . وانتقلت إليه الخلافة بموت ابيه مروان بن الحكم (سنة ٦٥ هـ) فضبط أمورها وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً على معانديه، قوي الهيبة . واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعـــد مقتل مصعب وعبد الله بن الزبير في حربهما مع الحجاج بن يوسف الثقفي . ونقلت في ايامـــه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وظبط الحروف بالنقط والحركات.

وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، واول من نقش بالعربية على الدراهم وكان يقال : معاوية للحلم، وعبد الملك للحزم . ومن كلام الشعبي : ما ذاكرت احداً إلا وجدت لي الفضل عليه، إلا عبد الملك، فما ذاكرته حديثاً ولا شعراً إلا زادني فيه . =

أنت [1] ؟ فقال: أنا رجل حا[2] تميم وأسد وكشكشة [3] ربيعة ومعناه أن

= وكان ابيض طويلاً اعين رقيق الوجه ، افوه مفتوح الفم مشبك الأسنان بالذهب ، مقرون الحاجبين ، مشرف الأنف ، ليس بالنحيل ولا البدين ، ابيض الرأس واللحية، ونقش خاتمه «آمنت بالله مخلصاً» وكان وفاته بدمشق السورية.

وقد ترجم كل من ابن الأثير ٤ : ١٩٨، والطبري ٨ : ٥٦ واليعقوبي ٣ : ١٤ وصاحب ميزان الاعتدال ٢:١٥٣ وذكر فيه «أنه سفك الدماء وفعل الافاعيل» وفي ص ٣٧٧ من المحبر « كان عبد الملك كاتباً على ديوان المدينة زمن معاوية بن أبي سفيان » .

وفي كتاب الفهرس التمهيدي ص ١١١ ذكر صاحبه : « رسالة من إنشاء عبد الملك بن مروان إلى الحسن البصري، يسأله فيها عن رأيه في وصف القدر » وهي مخطوطة في ثلاثين ورقة . وفي تاريخ الخميس ٢ : ٣٠٨ ، ٣١١ « أنه كان يلقب برشح الحجر ، لبخله » ، وترجم له المسعودي ٢ : ٨٦ ـ ١٠٣ وصاحب تاريخ بغداد ١٠ : ٣٨٨ وذكر فيه : « أول من سمي في الإسلام عبد الملك ، عبد الملك بن مروان ، وأول من سمي في الإسلام أحمد ، ابو الخليل بن احمد العروض الفراهيدي » . وفي فوات الوفيات ٢ : ١٤ عن ابي الزناد : « فقهاء المدينة : سعيد بن المسيب، وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير ، وقبيصة ابن ذؤيب » . وفيه أيضاً : « لما أفضي الأمر إلى عبد الملك ، كان المصحف في حجره فاطبقه ، وقال : هذا فراق بيني وبينك ! » وذكره أيضاً صاحب الاعلاق النفيسة ١٩٢ .

(١) يعني من أي القبائل أنت ولعله سأله هذا السؤال بعد أن لاحظ تغير لهجته .

(٢) العنعنة او إبدال العين من الهمزة ، وفي القاموس المحيط : وعنعنة تميم إبدالهم العين من الهمزة .

يقولون : (عن ـ موضع أن)

وأنشد يعقوب :

فلا تهلك الدنيا عن الدين واعتمل   لآخرة لا بـــد (عن) ستصير

و (عن) يقصد بها (أن) قالوا :

(أعن) ترسمت من خرفاء منزلة   مـاء الصبابة من عينك مسجوم ؟

أراد (أن) ترسمت ـ [وهذا البيت لشاعر الطبيعة: ذو الرمة واسمه غيلان ابن عقبة بن بهيش ، ويكنى أبا الحـارث ، وهو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة .

وسئل جرير عن شعره ، فقال : أبعار غزلان ونقط عروس ! وكان ينشد في سوق الإبل شعره الذي يقول فيه : «عذبتهن صيدح» وجاء في ديوانه : ٨٧ :

إذا أرفض أطراف السياط وهلك   جروم المطـــايا عذبتهن صيدح

و (صيدح) اسم ناقته ، فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قـــال : ما أحسن ما تقول ! فقال فما بالي لا اذكر مع الفحول ؟

قال : قصر بك عن غاياتهم بكاؤك في الدّمن وصفتك للابعار والعطن .

وأنشد يقول :

ودوية لو ذو الرميم يرومهـــا   بصيدح أودي ذو الرميم وصيدح
قطعت إلى معروفها منكراتهـــا   إذا آل الأمعز المتوضح

ويقال أنه مات بعد الأربعين] .

قال الفراء : لغة قريش ومن جاورهم : (أن) أو (أأن) كما جاء في لسان العرب لابن منظور .

ويعني الفراء بمن جاورهم تميم واسد واسد وقيس ومن جـاورهم يجعلون الف (أن) إذا كانت مفتوحة عيناً فيقولون : (اشهد عنك رسول الله) اي (اشهد انك رسول الله) فإذا كسروا رجعوا إلى الألف .

. . . .

وفي حديث قَيْلَة : تحسب عني نائمة .

وفي حديث حُصَيْن بن مُشمت : اخـــبرنا فلان عن فلاناً حدثه ، اي : ان فلاناً .

قـــال ابن الأثير : كأنهم يفعلونه لج في اصواتهم ، والعرب تقول : لأنك ولعنك بمعنى : لعلك . قال ابن الأعرابي : لعنَّك – لبني تميم .

عبد الله بن ثعلبة ، يقولون : رَعَنَّك . ومن العرب من يقول : ولعنـك بمعنى لعلك والعبارة نقلناها من لسان العرب باختلاف يسير ، وزاد في اللسان الاستشهاد بقول جران العود :

فمـا أبنَ حتى قلنَ : يا ليت عندنا تراب وعن الأرض بالناس تخسَّفُ

سمي جران العود لقوله :

خـــذا حذراً يا حنتي فإنني رأيت جران العود قد كان

يريد سوطاً من صدر جمل مسن ، خوفهما بـه . وكان جران العود ، فتزوج كل واحـد منهما امرأتين فلقيا منهما مكروهاً ووصف امرأته في شعره – وهو ممن وصف في شعره كما ذكر النساء بكثرة وأخذ عنه الفرزدق بعض معانيه ومما يتمثل به من شعره :

فلا تأمنوا مكر النساء وامسكوا المـــال عن ابنائهن الاصاغر

فإنك لم ينذرك امرأً تخافـــه إذا كنت منه جاهـلاً ، مثل خابر

ولجران العود ترجمة في خزانة الأدب ٤ : ١٩٧ ، وقـــد طبع ديوانه بدار الكتب المصرية عام ١٩٣١ م ضمن مجموعة دواوين ولا أحد يعلم حتى الآن أهو جاهلي أم إسلامي ، ويرى الاستاذ كرنكو أنه من الأمويين وعاصر عبد الملك ابن مروان . وورد عند بروكلمان ١ : ١١٦ وفي رسالة الغفران للمعري : ٢٦٩، وذكر في خزانة الأدب نقلاً عن حاشية لياقوت الحموي على مختصرة لجمهرة ابن الكلبي : ان جران العود من بني ضنة واسمه عامر بن الحارث بن كلفة وقيـــل كلدة .

. . . .

وفي « أزاهـــير الرياض المعربة » للبيهقي وسط ص ٢٠ « سوى عن عظم الساق منك رقيقُ » أي : أنّ .

وفي «السيرافي على سيبويه» ج١ ص ٢٧٨: عنعنة تميم وسبب تسميتها بذلك.

وفي « رؤوس القوارير » لابن الجوزي ص ٣٠ : ومن العرب من يبدل الهمزة الثانية عيناً لتقاربها في المسلك ، وأن العين عندهم أخف من الهمزة وقــال أيضاً فيما لا استفهام فيه :

فعيناك عيناها ، وجيدك جيدهـا وثغرك (إلا عنها) غـير عاطلِ

يريد : إلا أنها . وهذه التي يقال لها : عنعنة تميم .

وفي «فقه اللغة» ـ الصاحبي ـ لابن فارس، في باب اللغات المذمومة ص٢٤.

أمـــا العنعنة ـ التي تذكر عن تميم ، فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً ، يقولون : سمعت (عنْ) فلاناً قال كذا ، يريدون : (أنْ) .

وذكر ابن فارس حديث قيلة وبيت ذي الرمة ثم أعاد الكلام على العنعنة في ص ٧٦ .

وفي « الخصائص » لابن جني ج١ ص ٣٩٩ : فأما عنعنة تميم ، فإن تميماً تقول في موضع (أن : عن) تقول : عن عبد الله قائم . وأنشد ذو الرمة عبد الملك بن مروان : « أعن ترسمت من خرقاء منزلة » .

وقال الأصمعي : سمعت ابن هرمة ينشد هارون الرشيد :

(أعن) تغنت على ساق مطوقةٌ ورقاءُ تدعو هديـلا فوق أعوادِ

وفي كتاب « ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه » للمحبي ج٣ ص ٢١٥ عنعنة تميم هي إبـدال الهمزة في (أن ـ المفتوحة بعين) يقولون : أعجبني عن تقوم ، وعلى ذلك أنشدوا بيت ذي الرمة السابق .

وأنشده ابن يعيش ـ في إبدال العين من الهمزة ، وهو من النوادر ، لأن

. . . .

العين ليست من حروف البدل .

وقال ابن هشام : إن بني تميم يقولون في نحو (أعجبني ان تفعل كذا) : (عنّ تفعل) . وكذا يفعلون في أنّ المشددة ، فيقولون أشهد عَنْ محمداً رسول الله ، وتسمي عنعنة بني تميم . والبيت لذي الرمة : ترسمت الدار : نظرت إلى رسومها .

وفي « الصحاح » للجواهري : والخرقاء هي صاحبة ذي الرمة ، وهي من بني عامر بن ربيعة بن صعصعة .

وفي « أساس البلاغة » للزمخشري : دمع ساجم ومسجوم ومنسجم ، ودموع سواجم ، وسجمت العين دمعها سجماً ، وسجم الدموع سجوماً .

وفي « سر صناعة الاعراب » سمعت ابن هرمة ينشد لهارون :

أعن تغنت على ساقٍ مطوقةٌ ورقاءُ تدعو هديلا فوق أعوادِ

قال : أخبرنا ابو بكر محمد بن الحسن ، قراءة عليه ، عن ابي العباس أحمدبن يحيى : أحسبه اخبرنا عن الاصمعي قال : ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وتلتلة بهراء ، وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبّة .

وفي كتاب « المزهر » للسيوطي ج ١ ص ١٠٩ : ومن ذلك العنعنة وهي في كثير من العرب ، وفي لغة قيس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً ، فيقولون في (أنك : عنك) وفي (أسلم عِسلم) وفي (أذن : عدن) .

وفي « الاقتراح » للسيوطي ص ٩٩ : نقل عبارته في « المزهر » وفي « حاشية الاقتراح » لابن الطيب المسماة « نشر الانشراح » ص ٤٤١ ما نصه : قوله العنعنة ـ بعينين مهملتين ونونين . قوله المبدوء بها أي التي في ابتداء الكلمة أي في اولها . قوله : انك أي سواء كان بكسر الهمزة او فتحها ، فالإبدال عندهم جائز ، وإذن هي الجوابية فيبدلون الهمزة في ذلك كله وما اشبهه عيناً.

. . . .

وفي « فقه اللغة » للثعالبي ص ١٠٧ يتحدث عن العنعنة في قضاعة وبيت ذي الرمة السابق .

وفي شرح البغدادي لشواهد شرح الشافية الحاجبية للرضى ص ٤٨٦ يتحدث عن نفس البيت ويقول ان ذلك هو الإبدال .

ولم يقيده الزمخشري في « المفصل » كذلك شارحه ابن يعيش بقلة .

وقد ذكر له ابن السكيت في كتاب « القلب والإبدال » باباً وكذا عقد له فصلاً ابو القاسم الزجاجي في اماليه الكبرى .

وفي « شرح البغدادي » ايضاً «لشواهد شرح الرضى على الكافية الحاجبية» الجزء الرابع ص ٥٩٦ . كلام مختصر جداً في عنعنة تميم واستشهد ببيت ذي الرمة المتقدم ذكره .

وفي كتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر وهو بالمكتبة التيمورية في مجموعة لغوية رقم ٣٣٢ لغة ص ٥٦ . (باب العين والهمزة) وكتاب « الأضداد » لأبي حاتم السجستاني ص ١٣٠ — ١٣١ من المجموعة التيمورية السابقة .

وفي كتاب « تبيين المناسبات بين الأسماء والمسميات » ص ١٥ . جميعهم يتحدث عن العنعنة والإبدال .

وفي شرح التبريزي على الحماسة ج ٣ ص ١٥٢ يتحدث عن العنعنة خلال شرحه لبيت شعري .

(٣) الكشكشة إبدال الشين من كاف الخطاب او إبدال الكاف المؤنثة شيناً في القاموس وشرحه : والكشكشة في «بني سعد» كما قال الجوهري . او : في « ربيعة » كما قال الليث : إبدال الشين من كاف الخطاب المؤنث خاصة كعليش ومنش وبشن في : عليك ومنك وبك ، وفي موضع التأنيث وينشدون لمجنون ليلى :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش رقيق

. . . .

او زيادة شين بعد الكاف المجرورة ، تقول : عليكش وإليكش ، وبكش ، ومنكش . وذلك في الوقف خاصة ولا تقول عليكش بالنصب .

ونادت اعرابية جارية : (تعالي إلي ، مولاشن تناديش) اي مولاك يناديك وقال ابن سيدة : قال ابن جني : وقرأت على ابي بكر محمد بن الحسن عن ابي العباس احمد بن يحيى ، لبعضهم :

علي فيا ابتغي ابغيش بيضاء ترضيني ولا ترضيش
وتطبي ود بني ابيش إذا دنوت جعلت تنئيش
وإن نأيت جعلت تدنيش وإن تكلمت حثت في فيش
حتى تنقي كنقيق الديش ...

في البيت الأول (فيا) صوابهـا في الأصل (فيها) ونقلت التصحيح من « سر الصناعة » لابن جني و « خزانة البغدادي » ج ٤ ص ٥٩٤، هناك خلاف في رواية هذه الابيات بين ابن جني والاصمعي في البيت الاول (فيا) ذكرها الاصمعي .

وفي البيت الثاني (إينيش) عنـد الاصمعي و (ابيش) عند ابن جني ، و (تدنيش) عند الاصمعي ، (تنئيش) عند ابن جني ، وفي البيت الأخير (ينق الريش) عند الاصمعي وعند ابن جني (نقيق الديش) ونرى ان الخطأ في النسخ فقط الذي يهمنا ان كاف المؤنث أبدلت شيئاً في كل ذلـك ، وشبه كاف الديك لكسرتها بكاف المؤنث ، وجعله المؤلف ـ رحمه الله ـ ويقصد بذلك ابن جني لغة مستقلة فأوردها في (دي ش) .

وهناك حديث لمعاوية : تياسروا عن كشكشة تميم ، أي : إبدالهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث . وهو منقول عن لسان العرب باختلاف يسيرة .

وتجـد حديثاً عن الكشكشة في « اللسان » « وشرح القاموس » وفي « السيرافي علي سيبويه » ج أ ص ٢٧٩ . « كشكشة بكر ابن وائل ». وفي ج ٥ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

. . . .

ناس من أسد يقلبون كاف المؤنث شيناً في الوقف .

وفي ص ٤٦٨ ، ٥٧٢ ـ من هـذا الجزء : من يلحق كاف المؤنث في الوقف ويقال انها لقوم من بكر ابن وائل .

وفي « الخصائص » لإبن جني ج أ ص ٢٩٩ حديث عن كشكشة ربيعة .

وفي « محاضرات الراغب » الاصفهاني ج ١ ص ٣٦ : كلام عن « ما يعرض في بعض اللغات من العي » ويذكر مثال : (فميناش عيناها وجيدش جيدها).

وفي « فقه اللغة » للصاحبي ص ٢٤ حديث عن كشكشة أسد .

وفي رؤوس القوارير لابن الجوزي ص ٣٠ يتحدث عن عنعنة تميم وكشكشة سليم .

وفي « أزاهير الرياض المربقة » للبيهقي ـ في اللغـة وسط ص ٢٠ (سوى عن عظم الساق منك دقيق) .

حديث عن العنعنة ومعها الكشكشة .

وفي فقة اللغـــة ـ للثعالبي : ص ١٠٧ حديث عن الكشكشة عند تميم والكسكسة في لغة بكر والعنعنة عند قضاعة .

وفي (موارد البصائر ـ فيما يجوز من الضرورات) للشاعر الشيخ محمد سليم ص ٣٩ : يتحدث عن هذه الغرابة اللغوية ذاكراً مـا أورده ابن جني في « سر الصناعة » حول هـــذا الموضوع وكرر حديثه عن كشكشة ربيعة في صفحتي ١٦٥و١٦٨ ثم تكلم عنها في ص١٥٣ بما تقدم ذكره في عبارة «شرح القاموس» .

وفي الجزء الثاني ص ٤٣١ من « ألف باء » توضيح لكشكشة ربيعة وتعليل بأن الكشكشة في ربيعة سببها حرصهم على البيان !! وذكر هذه اللغة الخطابي وذكر أمثلة لذلك .

وفي مزهر السيوطي ج أ ص ١٠٩ يتحدث عـــن كشكشة ربيعة ومضر وذكر فيص ١٠٤. ان الكشكشة في (أسد) ـ ثم ذكر بعده أنها في (هوازن).

. . . .

وفي « الاقتراح » للسيوطي ص ٩٩ ذكر العبارة نفسها ، وفي حاشية ابن الطيب المسماة « نشر الانشراح » كلام عن كشكشة أسد .

وأورد أقوال الجوهري صاحب الصحاح والرضى وفي « صبح الأعشى » للقلقشندي ص ٩٨ حديث عن الشنشنة والكشكشة .

وابن عبد ربه في « العقد الفريد » ج أ ص ٢٩٤. يتحدث عن كشكشة تميم وفي الجزء الثاني ص ٤٨ قال ان الكشكشة في تقلب .

وفي شرح البغدادي على شواهـد الرضى المسمى « بخزانة الأدب » ج أ ص ٥٩٣ يتحدث عن شين الكشكشة في أسد .

والمبرد صاحب الكامل في اللغـة والأدب يعلل الكشكشة تعليلاً صوتياً ، وذلك لقرب الشين من الكاف في المخرج لأنها مهموسة .

ولابن الأعرابي وثعلب أحاديث مماثلة عن الكشكشة كذلك الزجاجي في أماليه والغالي في « شرح اللباب » إلا أن الرضى يذكر ان المبرد فيالكامل وأبي علي الغالي فى « ذيل الأمالي » رويا :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

رويا الأصل من غير إبدال .

ويخص المحبي في« ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه » في باب الكاف الكشكشة بحديث اعتمد فيه على حديث معاوية .

أيضاً المسعودي صاحب «مروج الذهب» في ج أ ص ٧١ ناقش هذه المسألة.

وقد جمع المرحوم العلامة المحقق أحمد تيمور باشا أقوال العلماء حول هـذه القضية واستعان في ذلك بما أورده صاحب العقد الفريد في أرجوزته .

تميماً وأسد يبدلون من الهمزة عيناً في مثـــل عنك رسول الله . وربيعة يبدلون من الكاف المؤنثة شيناً وينشد على هذا :

فعيناش عيناها ولونش لونهـــا ولكن عظم الساق مينش دقيق [1]

وبحذف الأسناد قال : أنشدنا ثعلب [2] قال : أنشدها إبن الأعرابي [3]

عليّ (فـــيما) أبتغي أبغيش بيضاءَ ترضيني ولا ترِضيش

---

(١) أوردنا هذا البيت أثناء حديثنا عن إبدال الكاف المؤنثة شيناً وهـذا البيت لمجنون ليلى ويذكر الرضى ان المبرد صاحب (الكامل) وأبا علي القالي في « ذيل الأمالي » رويا .

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

وفي بعض نسخ ديوان (مجنون ليلى) وجدنا البيت كما قال الرضى ولم يكتب باللهجة المذكورة آنفاً .

(٢) ثعلب : وهو من العلماء المشهورين، توفي سنة ٢٩١ هـ، وقال عن نفسه : « ابتدأت بالنظر في العربية والشعر واللغة في سن عشرة ، وحذفت العربية ، وحفظت كتب الفراء حتى لم يشذ عني حرف منها ، ولي خمس وعشرون سنة ، وكان رئيس مدرسة الكوفة ، وكان بينه وبين المبرد عداوة عداوة شخصية وقد قام بجمع دواوين شعرية كثيرة » .

(٣) ابن الأعرابي : هو ابو عبد الله محمد بن زياد الملقب بإبن الأعرابي ، ولد سنة ١٤٥ هـ = ٧٦٢م وتوفي بسامرا العراقية ٢٢٥ هـ = ٨٣٩م وقيل سنة ٨٢٣١هـ وكان عمره إحدى وثمانين سنة ، وهو عالم كوفي ، قال عنه ابو العباس : « قد أملى على الناس ما يحمل على اجمال ، ولم يرَ أحد في الشعر اعزر منه » . وقال ثعلب : شاهـدت مجلس ابن الاعرابي ، وكان يحضره زهاء مائة إنسان ، وكان يسأل ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب ، قال : ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط .. قرأ على القاسم بن معن ، وسمع من المفضل بن محمد ، وكان يذكر أنه ربيب المفضل ، كانت أمه تحته .

إذا (دنوت) جَعَلَتْ تدنيشِ   وإنْ نأْبتِ جَعَلَتْ (تثيش)
وإنْ تكلمتْ حَثَتْ في فيش   حتى تنقي كنقيق الديش [1]

ـ الحمق ، الخمر وحكي الاصمعي : تجالس السفهاء على الحمق [2]

---

(١) قال ابن سيدة الضرير : قال ابن جني : وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن ، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ، لبعضهم :

عليّ (فيا) ابتغي أبغيش
بيضاء ترضيني ولا ترضيش
وتطبي وُدّ بني أبيش
إذا دنوت جعلت تنئيش
وإن نأيت جعلت تدنيش
وإن تكلمت حثت في فيش
حتى تنقي كنقيق الديش

وقد سبق وذكرنا في الهامش رقم (٦) ان كلمة (فيا) في البيت الأول خطأ وصوابها في الاصل (فيها) والتصحيح منقول عن كتاب « سر صناعة الاعراب » لابن جني و « خزانة الأدب » للبغدادي ج ٤ ص ٥٩٤ .

ولعل القارىء يلاحظ الفرق بين هذه الأبيات وما بين ما ذكر في أصل المخطوطة .

(٢) الحمق بسكون الميم وضمها قلة العقل ، وحمق من باب ظرف وحمق فهو (احمق) على وزن افعل ، و(حمق) ايضاً بالكسر ، فتقول امرأة حمقاء وقوم ونسوة حمق وحمقى وحماقى ، ولعل سبب تسمية الخمر بالحمق ان الخمر تسبب الغفلة وقلة العقل . وتعرض المرء لارتكاب اعمال الحمقى ، وقول الاصمعي معناه لا تجالس السفهاء على الحمق أي من فيهم طيش ونزق وغفلة بسبب تعاطيهم الخمر فلا تشاركهم ذلك السفه .

ـ الصرفان ، ضرب من التمر وهو الرصاص أيضاً [1]

ـ لبد [2] اسم الدهر ، وبه سمي النسر ، لبد (بضم اللام وفتح الدال)

قال لبيد في لبد الذي هو النسر :

---

(١) الصرفان على وزن فعلان كما يقول الاصمعي نوع من التمر ، وأرى انـه التمر الزائد عن الحاجة او التمر الرديء غير الجيد ـ وابو عبيدة يقول انصرف الحديث معناه تزيينه بالزيادة فيـه ، والصرفان اسم من اسماء الرصاص ، ومنها صرف أي خالص او بحت .

(٢) لبد : نقول ماله سبد ولا لبد (بفتح الباء فيهما) أي قليل ولا كثير ، والسبد من الشعر ، واللبد من الصوف ، و (اللبد) بكسر اللام بوزن الجـلد . والبيت للشاعر لبيد بن ربيعة العامري (٥٦٠ ــ ٦٦٢) أحـد شعراء المعلقات المخضرمين ، مات بالكوفة العراقية، أحد سفراء قومه إلى الملك والعظماء ، أسلم عندما وفد على النبي ﷺ مع جماعة من قبيلته وإن كان البعض يشكك أنه كان ضمن هـذا الوفد ـ برع في الهجاء والرثاء ووصف حيوانات الصحراء ، تتردد في شعره نغمة دينية واضحة ، اعجب بـــه النقاد القدماء ، ولكنهم لم يضعوه في الطبقة الأولى من الفحول . شعره محكم البناء والصياغة تنقصه الحلاوة ـ أما هذا البيت فجاء ضمن القصيدة ٣٩ من ديوانه الذي حققه وقـدم له الدكتور إحسان عباس ضمن سلسلة التراث العربي التي كانت تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت سنة ١٩٦٢ م .

ولبد أحد النسور السبعة التي اختار لقمان ليعيش ما عاشت ، فكان آخرها موتاً . وفي المثل « طال الأبد على لبد » ، وفسر الاصمعي (لبد بأنهـا اسم من أسماء الدهر) . يقول : انه لمـا رأى لبد النسور وقد تطايرت ورفعت قوادمها أي ريش مقدم جناحها ، رفعت هذه القوادم كالفقير المعدم ، ويروي كالعقير في المقاييس ، ويروي كالكسير (المضاف والمنسوب) والفقير الذي كسرت فقراته الاعزل : المائل الذنب ، توصف به الخيل . والفقير عند الاصمعي بمعنى المكسور الفقار ، والبيت من بحر الكامل .

لمــــا رأى لبد النسور تطايرت ... رفـــع القوادم كالفقير الاعزل

والفقير ها هنا المكسور ، والفقار في معنى مفقور .

ـ أخبرني الشيخ المهذب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم السلمي يرفعه إلى عدة مشايخ عن أحمد بن عبيد عن أبي زيد [1] الأنصاري : كان رجـل يبيع الحنطة [2] ، فجاوره قوم من الأعراب ، فأولم وليمته ، ودعـــا الاعراب في أخر من دعا ، فقال رجل من الاعراب :

أنا وجدنا عروس الحناط ... لئيمة مذمومة الخواط [3]

---

(١) من مشايخ اللغـة الاجلاء : ابو الحسن علي بن الرحيم السلمي ، احمد بن عبيدة وكلهم كانوا من تلاميذه، ورواه أبي زيد الانصاري وهو ابو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيـــد ثابت بن زيد بن قيس الانصاري اللغوي البصري ، كان من أئمة الأدب وغلبت عليه اللغة والنوادر والغريب وكان ثقة في روايته .

حدث ابو عثمان المازني قال : رأيت الاصمعي وقد جاء إلى حلقة ابي زيد فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : انت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة (ابن خلكان) .

وكان سيبويه إذا قال : سمعت الثقة يريد به أبا زيد الانصاري سنة ٢١٤ وقال الرياشي وابو حاتم : توفي سنة ٢١٥ وكان ذلك في خلافة المأمون : وحكي ابو الخطيب ان وفاته كانت بالبصرة (الانباري) .

ومن أهم كتبه : كتاب اللبأ ، واللبن ـ كتاب المطر ـ نوادر ابي زيـــد الانصاري المسمى النوادر في اللغة ـ كتاب الهمز .. الخ (معجم سركيس) .

(٢) (الحنطة) القمح ، جمعها (حِنط) و (الحنطى) الذي يأكل الحنطة كثيراً ، و (الحناط) بائع الحنطة .

(٣) يقصد انها لئيمة ، مذمومة الاخلاق ، ليس بحسنة ، ولا خفيفة الظل .

تدعى مع النساج والخياط وكل علج شحم الأباط [1]

والشحم أي (المنتن) .

قال ابن السكيت [2] والعرب تقول فيما تذم به فلان :

---

(١) مادتها (ع ل ج) ـ العِلْجُ بوزن العجل واحد من كفار العجم والجمع (عُلوجُ) و (أعلاج) و (علجة) بوزن عبنة (معلوجاء) بوزن محوراء وهي جماعة الحمير كما ينبه الرازي في مختار الصحاح وعالج الشيء معالجة و (علاجاً) زاوله . (وعالج) موضع بالبادية وفيه رمل .

والشحم معروف و (الشحمة) أخص منه ، وشحمة الاذن مُعَلّق القرط ، ورجل مشحم كثير الشحم في بيته ، و (شحيم) أي سمين وقد (شحم) من باب ظرف ، و (شحم) فلان اطعمهم الشحم وبابه قطع فهو (شاحم) ، و (الشحام) بائعة ، ورجل (شحم) يشتهي الشحم .

والإباط مفردها أبط (الإبط) بسكون الباء ما تحت الجناح يذكر ويؤنث والجمع (أباط) و (تأبط) الشيء جعله تحت إبطه .

(٢) ابن السكيت هو ابو يوسف ، يعقوب بن السكيت ، ولد حوالي سنة ١٧٨ هـ = ٨٠٢ م ، وتوفي حوالي عام ٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م من اصل فارس ، كان شديد التشيع للإمام علي وآله ، عاش في بغداد ، وكان مؤدباً لأولاد الامراء فكان من علماء بغداد ، وأحد الكوفيين . وكان ابوه السكيت عالماً ، وكان بن يعقوب متصرفاً في انواع العلم ، وكان يقول : « انا اعلم من ابي بالنحو ، وابي اعلم مني بالشعر واللغة » .

وكان يعقوب عالماً بنحو الكوفيين، وعلم القرآن والشعر، لقي فصحاء العرب وأخذ عنهم وحكي في كتبه ما سمعه منهم وله حظ من الستر والدين [الفهرست لابن النديم ص [١١٣ ـ ١١٤] وقام بعمل دواوين كثير من الشعراء ، منهم : امرؤ القيس ، والحطيئة ، ولبيد بن ربيعة ، والاعشى الكبير ، وبشر بن ابي خازم ومهلهل ، وعدي بن زيد ، والخنساء .

لا يتخـذك في شدة ولا يعينك في نجـدة
ولا يؤنسك في وحدة ولا تكثر بـه في عدة
ولا ترجع منه إلى عدة

والعرب تقول أيضاً :

أن استشرته دلال ،
وان استفته خـلال ،
وان استرشدته أغوال ،
وأن رجوت خيره منال،

ـ الزلع : أصله الشق ، والقطع ، ومنه الزالوع للكوز لأنه يغرف به يقال أزلع لي (مآ) [1] . أي : أغرف لي ، والزيلع من ذلك كأنهم انقطعوا عن معظم الناس .

ـ الغزي : الغزاة [2] .

[انتهت فائدة كتاب الدارات للأصمعي]

---

(١) مآ : ماء .

(٢) غ ز أ (غزوت) العدو من باب عـدا والاسم (الغزاة) ورجل (غاز) وجمعه (غزاة) كقاض وقضاة و (غزي) كسابق وسبق ، و (غزي) كحاج وحجيج وقاطن وقطن و (غزاء) كفاسق وفساق . و (أغزاه) جهزه للغزو ، و (مغزى) الكلام بفتح الميم والزاي مقصده وعرفت ما (يغزي) من هـذا الكلام أي ما يراد .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

الدارات والمقدمة التقليدية للقصيدة العربية بين القدماء والمحدثين